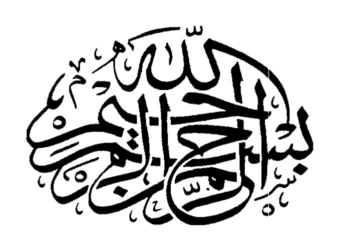
دموع المشتاق و...

نهاية العشاق

تأليف أبي عبد الله
يحيى بن محمد بن القاسم الديلمي







دُمُوعُ المُشْتَاقِ وَ...

نِهَايَةُ العُشَّاقِ



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

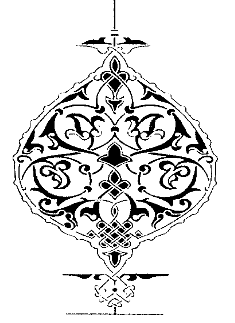
الطبعة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع

٢٠٠٧/٨٨٢٦

الترقيم الدولي

977/331/451/0



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠١٠٥٤١١٩١٠-٠٢-٥٢٢٢٠٠
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

[الأعراف: ١٧٩]

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[التوبة: ٨٢]

مقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﷺ تسليما مزيدا. ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾

[النساء: ١]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال أيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلى فصبر فواها**»(١).

لقد جنب الله أناسا من عباده الفتن ورفعهم على من سواهم ووقع فيها آخرون فصاروا في تعاسة وشقاء وذل وعناء.

---

(١) رواه أبو داود ٤٢٦٣ وصححه الألباني.

ووفق البعض من الصنف الثاني التوبة فالتحقوا بالصنف الأول وذاقوا حلاوة الإيمان وفازوا بحب الرحمن وتحرروا من عبودية الإنسان .

ولهذا قال الرسول ﷺ : «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه**»(١) .

فكم من قلوب أشربت الفتن حتى سودت ووقعت في الزنا مع علمها بتحريم الله عز وجل على عباده الفواحش ما ظهر منها وما بطن رحمة بهم وصيانة لأعراضهم ودفعا منه لأضرارهم فقال تعالى : ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وقرن الزنا بالشرك لما فيه من مفاسد عظيمة فقال في وصف المؤمنين : ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾ [الفرقان : ٦٨-٦٩] .

وقال الرسول ﷺ : «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٢) .

فمن لم يحفظ فرجه لا يفلح قال تعالى : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون ١-٧] . ومن لم يحافظ على قلبه وعقله لا شك أنه على خطر عظيم، فعندما يقرأ القارئ أخبار الحب والمحبين يجد العجب العجاب مما وصل إليه حالهم وآل إليه مآلهم، فمنهم من فقد عقله، ومنهم خرج عن ملة الإسلام، ومنهم من أصيب بالقلق والخوف، ومنهم من مات

(١) رواه مسلم ١٤٤ .

(٢) رواه البخاري ٦١٠٩ .

مقهورا وما ذاك إلا لأنهم خالفوا قول الله سبحانه في قوله: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٣].

وبداية الحب تكون رغبة أوتتيم، فإذا تعلق القلب بالمحبوب صار علاقة، فإذا انصب القلب نحو محبوبه يصير صبابة، فإذا صار القلب متمسكا بمحبوبه صار عشقا، وهكذا يزيد التعلق حتى يصيح العاشق عبدا لمعشوقه لا يستطيع نسيانه ولا عصيانه فهو بين يديه كالميت بين يدي المغسل يقلبه كيف يشاء. وصدق القائل:

سماعا يا عباد الله مني ... وكفوا عن ملاحظة الملاح

فإن الحب آخره المنايا ... وأوله شبيه بالمزاح

وذكر أنه كان لعبد الله بن عبيدة الريحاني جارية يهودية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو إليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه إنسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية)[١].

قال بعض السلف (**المعاصي بريد الكفر كما أن القبلة بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض بريد الموت**)[٢].

قال العلامة ابن القيم في الجواب الكافي: (وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفات ... هن أحلى فيه من التوحيد

وكما صرح الخبيث الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان ومن هذا الحال قال الشاعر:

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا مخلصا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية

(١) المستطرف في كل فن مستظرف.
(٢) الجواب الكافي.

المخلوق مثله فإن العبودية أي كمال الحب والخضوع وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه فقد أعطاه حقيقة العبودية . أهـ.

ومن هؤلاء أبو القاسم الشابي الذي عاش على الحب وللحب حتى صار عبدا للمرأة فقد صرح في قصيدته (صلوات في هيكل الحب) وهو يخاطب محبوبته قائلا :

أنت أنشودة الأناشيد — عناك إله الغناء رب القصيد

إلى أن قال :

أنت قدسي ومعبدي وصباحي — وربيعي ونشوتي وخلودي
يا إبنة النور إني أنا وحدي — من رأى فيك روعة المعبود
أنت ما أنت ؟ أنت رسم جميل — عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وسحر — وجمال مقدس معبود

وعندما كتب الشابي هذه الأبيات قال العلماء عنه بأنه وثني فهو يؤمن بإله الغناء ومعنى هذا أنه يؤمن بإله للحب وإله للمطر وغير ذلك مما لم تعرفه إلا العصور الوثنية سواء عند العرب أو عند الإغريق . ومعنى هذه النزعة الوثنية أن الشاعر مشرك لا يؤمن بإله واحد فهو إذا ملحد كافر.

ومضي الشابي في قصيدته يصور حبيبته ويستغيث بها لتنقذه من عذاب العشق والهيام ويطلب منها ما يسبب شقاوته . . . إلى أن قال :

وحرام عليك أن تسحقي آمـ — ـال نفس تصبو لعيش رغيد

ولم يكتف بهذا بل صير نفسه عبدا ذليلا ساجدا عند قدميها يترجاها بقوله :

منك ترجو سعادة لم تجدها — في حياة الورى وسحر الوجود
فالإله العظيم لا يرجم العبد — إذا كان في جلال السجود

وقال في قصيدته (أيتها الحالمة بين العواصف) :

أنت لم تخلقي ليقربك الناس — ولكن لتعبدي من بعيد

ومع هذا فهو يعترف بشقاوته قائلا :

والشقي الشقي من كان مثلي … في حساسيتي ورقة نفسي[1] أهـ المراد

فحالة أهل العشق الغير المشروع ذميمة ونفوسهم هينة رخيصة وعيشتهم سقيمة فهم يتقلبون من ضنك إلى ضجر ومن خساسة إلى تعاسة .

قال أحمد بن عثمان الكاتب :

وإني ليرضيني الممر ببابها … وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال آخر :

قالوا عهدناك ذا عز فقلت لهم … لا يعجب الناس من ذل المحبينا
لا تنكروا ذلة العشاق إنهم … مستعبدون برق الحب راضونا

وانتقال بعضهم من الإسلام إلى الكفر سببه إطلاقهم العنان لأهوائهم ورغبات نفوسهم وبحثهم عن إشباع غرائزهم فأطلقوا النظر إلى ما حرم الله عليهم حتى أوقعهم في شبكة المغفلين نادمين لا يستطيعون الخروج منها .

هذا وإن العشق المذموم لا يحصل إلا لمن خف عقله وقل دينه وفقد ورعه قال الله تعالى ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه : ١٢٤] ولو فكر الناس بعواقب ارتكاب الفواحش لابتعدوا عن العمل بأسبابها كما قال الشاعر :

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا … حتى يفكر ما تجني عواقبه

قال ابن القيم في روضة المحبين : (والحب مبناه على الذل والخضوع للمحبوب كما قيل :اخضع وذل لمن تحب فليس في شرع الهوى أنف يشال ويعقد) أهـ.

وقال المتنبي :

تذلل لها واخضع على القرب والنوى … فما عاشق من لا يذل ويخضع

وقال الشاعر :

مساكين أهل العشق حتى قبورهم … عليها تراب الذل بين المقابر

---

(١) انظر ديوان الشابي .

وبعضهم ربما وصل به الأمر إلى حد السكر بحب معشوقه كما أخبر الله تعالى عن قوم لوط وأقسم بحياة محمد ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وقد عتب الرشيد يوما على بعض جواريه في أمر وكان يحبها حباً شديداً فحلف ألا يدخل حجرتها فلم تترضاه فقال:

صدعني إذ رآني مفتتن وأطال الصد لما أن فطن

كان مملوكي فأضحى مالكي إن هذا من أعاجيب الزمن

ثم بعث إلى أبي العتاهية يأمره أن يجيزها فقال:

عزة الحب أرته ذلتي في هواه وله وجه حسن

فلهذا صرت مملوكا له ولهذا شاع أمري وعلن

قال المصنف - غفر الله له - وهذا الذل لا يحتمله ذو أنفة فإن أهل الأنفة حملهم طلب علو القدر على قتل النفوس وإجهاد الأبدان في طلب المعالي ونحن نرى طالب العلم يسهر ويهجر اللذات أنفة من أن يقال له جاهل والمسافر يركب الأخطار لينال ما يرفع قدره من المال حتى إن رذالة الخلق ربما حملوا كثيرا من المشاق ليصير لهم قدر فهذا الساعي يتعب نفسه بالعدو ويصبر عن لذات الجماع لينال قدرا وقد قال القائل:

وكل امرىء قاتل نفسه على أن يقال له إنه

فأما من لا يأنف من الذل وينقاد لموافقة هواه فذاك خارج عن المتميزين.

قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: «ما ألذ الأشياء؟ قال: يا أمير المؤمنين مر أحداق قريش فليقوموا فلما قاموا قال إسقاط المروءة. يريد أن الرجل إذا لم تهمه مروءته فعل ما يهوى ولم يبال بلوم وهذه صفات البهائم فأما أرباب الأنفة فكما قال ابن المعتز:

وإني وإن حنت إليك ضمائري فما قدر حبي أن يذل له قدري

وقال أبو فراس:

لقد ضل من تحوى هواه خريدة — وقد ذل من تقضي عليه كعاب
ولكنني والحمد لله حازم — أعز إذا ذلت لهن رقاب
ولا تملك الحسناء قلبي كله — ولو شملتها رقة وشباب
وأجري ولا أعطى الهوى فضل مقودي — وأهفو ولا يخفى علي صواب
صبور ولو لم تبق مني بقية — قؤول ولو أن السيوف جواب

وقال عبد الواحد بن نصر الببغاء:

سل الصبابة عني هل خلوت بمن — أهوى مع الشوق إلا والعفاف معي
لا صاحبتني نفس لو هممت بأن — أرمي بها لهوات الموات لم تطع
تأبى الدناءة لي نفس نفاستها — تسعى لغير الرضا بالري والشبع

ولمنصور بن الهروي:

خلقت أبي النفس لا أتبع الهوى — ولا أستقي إلا من المشرب الأصفى
ولا أحمل الأثقال في طلب الغنى — ولا أبتغي معروف من سامني خسفا
ولا أتحرى العز فيما يذلني — ولا أخطب الأعمال كي لا أرى صرفا

ولا شك أن مراد كل عاشق أن يزني بمن يعشق لكن عواقب ارتكاب الفواحش وخيم في الدنيا والآخرة فقد حلت بالزناة نكبات ومصائب لم تحل بغيرهم من ذلك الأمراض المستعصية الفتاكة مثل: مرض الطاعون والإيدز والزهري والهربس وفيروس الحب والسيلان وغير ذلك من الأمراض العصرية. ولهذا قال ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[١].

وجاء في كتاب أعلى النعيم: والعشق الشهوي عبودية على عبودية وذلة على

(١) رواه ابن ماجة ٤٠١٩ وهو في الصحيحة برقم ١٠٦.

ذلة والبهيمة أحسن حالا ممن ابتلي به لأنها إذا أسقطت الأذى عن نفسها بالسفاد سكنت فصارت إلى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها ومن أثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عارية وسباع ضارية.

قيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ قال جنون لا يؤجر صاحبه عليه.

وسئل آخر عنه فقال: نفس فارغة لا همة لها.

وقال غيره: هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة. أي ذل وشقاء ورق أنكى من ذل رجل يقول لمعشوقته:

أتاني منك سبك لي فسبي ... أليس جرى بفيك اسمي فحسبي

ولقد جرت على العشاق محن لا تطاق، كان مجنون ليلى لا يعرف ليلا ولا نهارا وكان إذا رأى الجبل قال ليلى وإذا رأى البحر قال ليلى وغلب عليه الوسواس فهرب إلى الوحش من الناس:

لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه

والمجنون هو القائل:

أصلي فأبكي والصلاة لذكرها ... لي الويل مما يكتب الملكان

وهو القائل:

إذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

وهو القائل:

عجبت لعروة العذري أمسى ... أحاديث لقوم بعد قوم
وعروة مات يوما مستريحا ... وهأنذا أموت بكل يوم. اهـ

وقالوا عن العشق إنه اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، وقال أعرابي العشق خفي أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر

إن قدحته أورى وإن تركته توارى. وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فكما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم صبابة لانصباب القلب نحوه ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه ثم يصير عشقا إلى أن يصير تتيما والتتيم التعبد وتيم الله عبد الله فيصير القلب عبداً للمحبوب مطيعا له لا يستطيع الخروج عن أمره، وقد آل الأمر بكثير من عشاق الصور إلى ما هو معروف عند الناس مثل من حمله ذلك على قتل نفسه وقتل معشوقه أو الكفر والردة عن الاسلام أو أفضى به إلى الجنون وزوال العقل أو أوجب خروجه عن المحبوبات العظيمة من الأهل والمال والرياسة أو أمراض جسمه وأسنانه)[٢] اهـ.

فالعشق قد يجعل الرجل كالطفل، فقد جاء عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته**»، قالت: يا رسول الله تأمرني؟، قال: «**إنما أنا أشفع**»، قالت: لا حاجة لي فيه)[٣].

ولما رأى بعض السلف عاشقا قد حمله قومه إلى الكعبة يستشفون له مكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته إلا المعافاة من العشق، فعلى أصحاب العقول النيرة والعفاف والدين أن يشكروا الله الذي أنعم عليهم بالطاعة ورزقهم القناعة، وبغض إليهم طرق الغواية والشناعة، وصانهم عن الإنحراف والسلوك المشين والضلال.

ألا فليحمد الله كل من وفقه الله إلى الرجوع إليه وعرف شر نفسه وإضلال شياطين الجن والإنس له وابتعد عن المساوئ وأهلها واتصف بالمحاسن وصفاتها.وعسى أن تكون هذه الرسالة رادعة للشباب المنحرف بسبب معرفتهم أخبار التائهين ونهاية

---

(١) انظر المستطرف في كل فن مستظرف.

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٥٦٧.

(٣) رواه البخاري رقم ٤٩٧٩.

الغافلين وسعادة المؤمنين الموفقين منهم والتائبين. وسأذكر نبذة يسيرة من قصص وأخبار العشاق وأشعارهم وما قيل فيهم لغرض التفكر والاعتبار والتذكر والاتعاظ لقوله تعالى: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال أيضا: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [يوسف: ١١١].

والأمر كما قال الشاعر:

وكل أمرئ يدري مواقع رشده ... ولكنه أعمى أسير هواه
يشير عليه الناصحون بجهدهم ... فيأبى قبول النصح وهو يراه

أسأل الله أن يبصرنا عيوبنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بها يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

لاشك أن الإنسان له شهوة وغريزة وميول إلى المعاصي فإن لم يجاهد نفسه وقع فيما يضره، ولهذا حرم الإسلام المعاصي وأسبابها،وأهم الأسباب هو إطلاق البصر فإن النظر إلى ما حرم الله فيه خطر عظيم فهو من دواعي العشق والزنا وقد جاءت الأدلة على تحريم إطلاق النظر من ذلك: قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وبدأ سبحانه بالغض في الموضعين قبل حفظ الفرج، لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج، والوسيلة مقدمة على المتوسل إليه)[١].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (فلما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة،... وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته)[٢].

ففي إطلاق النظر انتهاك حرمات الله لقوله ﷺ: («**لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا**»، قال

---

(١) فتح القدير ٤ / ٢٧ .

(٢) روضة المحبين (ص٩٢).

ثوبان يا رسول الله: صفهم لنا؟ جلهم لنا؟ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد نص الإمام أحمد على هذا فقال: [ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج لئلا ينظر إلى ما لا يحل فيحبط عمله][٢] اهـ المراد. فالنظر أصل الخطر والفتن كما قال الشاعر:

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

وأنشد بعضهم:

الحب أوله شيء يهيم به قلـ ... ـب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت ... ومزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فإذا ... تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وكما أنه يجب على الرجال غض البصر فكذلك النساء فإن النظر سهم من سهام إبليس والمعصوم من عصمه الله.

قال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور: ٣١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره: فيه ثلاث وعشرون مسألة:

الأولى: قوله تعالى ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ خص الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد فإن قوله قل للمؤمنين يكفي لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين حسب كل خطاب عام في القرآن وظهر التضعيف في يغضضن ولم يظهر في يغضوا لأن لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الأول متحركة وهما في موضع جزم جوابا وبدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائد الموت وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف وفي الخبر «**النظر سهم من سهام إبليس**»[٣] مسموم فمن غض

(١) رواه ابن ماجة ٤٣٤٥ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٠٥٥ .
(٢) « كتاب الصلاة وحكم تاركها »، ص ٦٥ . (٣) أخرجه الحاكم وغيره وهو في الضعيفة برقم ١٠٦٥ .

بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه. وقال مجاهد إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر.

وعن خالد بن أبي عمران قال لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل منها قلبه كما ينغل الأديم فلا ينتفع به فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عما لا يحل فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ولا المرأة إلى الرجل فإن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب على بن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر**» الحديث وقال الزهري في النظر إلى التي لم تحض من النساء لا يصلح النظر إلى شيء منهن ممن يشتهى النظر إليهن وإن كانت صغيرة وكره عطاء النظر إلى الجواري اللاتي يبعن بمكة إلا أن يريد أن يشتري وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سألته وطفق الفضل ينظر إليها وقال ﷺ: «**الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق**»[١] والمذاء هو أن يجمع الرجل بين النساء والرجال ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضا مأخوذ من المذي وقيل هو إرسال الرجال إلى النساء من قولهم مذيت الفرس إذا أرسلتها ترعى وكل ذكر يمذي وكل أنثى تقذي فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها...)[٢] أهـ المراد تفسير.

فليس التحريم محصورا على الرجل فقط بل إنه ايضا يشمل المرأة لقوله تعالى في الآية ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ**﴾ فالمرأة كذلك تفتن بالنظر إلى الرجل فهما في الطبع والغريزة سواء والفتنة مشتركة وأكبر برهان على ذلك ما ذكره الله عن يوسف عليه السلام في قصته مع امرأة العزيز قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف: ٢٣] ثم

(١) رواه ابن بطة في الإبانة وهو في الضعيفة برقم ١٨٠٨.

(٢) القرطبي ١٢ / ٢٢٦-٢٢٧.

طلبت منه أن يخرج على النساء المجتمعات من أجل مشاهدة جماله قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١]. فعصمه الله من تلك الفتنة فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال عزيز مصر بعد أن عرف كيد زوجته ليوسف ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: من الآية٢٨].

قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – النساء شقائق الرجال، فكما أن المرأة تعجب الرجل فكذلك الرجل يعجب المرأة وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تنفر من الشيخ كما ينفر الرجل من العجوز)[١]. اهـ

فلا يجوز للرجال أن ينظروا إلى النساء كما أنه لا يجوز للنساء أن ينظرن إلى الرجال لأن علاقتهم بهن كعلاقتهن بهم فقصدهما واحد.

قال الحافظ محمد بن عبد الله العامري رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾: تأكيدا لأمر النظر واحتياطا لصيانة الفروج عن الزنا والخطر ولئلا يتوهم متوهم أن الأمر يختص بالرجال[٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله: (والصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة أنه يحرم على المرأة النظر إلى الأجنبي كما يحرم عليه النظر إليها... لأن الفتنة مشتركة، وكما يخاف الافتتان بها، تخاف الافتتان به)[٣].

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: (الأمر بغض البصر وحفظ الفرج من الرجال والنساء على حد سواء في الآية الأولى وصدر الآية الثانية، وما ذاك إلا لعظم فاحشة الزنا وأن غض البصر وحفظ الفرج أزكى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وأبعد عن الوقوع في هذه الفاحشة. وإن حفظ الفرج لا يتم إلا ببذل أسباب السلامة والوقاية، ومن أعظمها غض البصر)[٤] اهـ.

---

(١) المحرمات على النساء ص ٢٥
(٢) أحكام النظر... ص ٣٥.
(٣) شرح لصحيح مسلم ٣ / ٦٩٤.
(٤) حراسة الفضيلة ص ٤٩.

وعن عبادة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»[١].

فالنظر إلى غير المحارم حرام لم يشرع إلا عند الضرورة مثل نظر الخاطب إلى مخطوبته أو غيرها مما هو جائز فقد قال النبي ﷺ لرجل تزوج: «**أنظرت إليها؟**» قال: لا، قال: «**اذهب فانظر إليها**»[٢].

ولما كان الفضل ابن العباس رضي الله عنهما رديف النبي ﷺ يوم النحر من مزدلفة إلى منى، مرت ظعن تجري؟ فطفق الفضل ينظر إليهن فحول رسول الله ﷺ رأسه إلى الشق الآخر)[٣].

ومن حديث علي رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد وغيرهما أن جارية شابة مِنْ خَثْعَمٍ اسْتَفْتَت النبي ﷺ فقالت: «**إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الْحَجِّ أَفَيُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟، قَالَ: «حُجِّي عَنْ أَبِيكِ قَالَ: وَلَوَى عُنُقَ الْفَضْلِ فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ قَالَ رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنْ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا**»

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذا منع وإنكار بالفعل. فلو كان النظر جائزا لأقره عليه)[٤]. اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والرجل تزني وزناها الخطى، واليد تزني وزناها البطش، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك و يكذبه**»[٥].

---

(١) رواه أحمد ٥ / ٣٢٣ وحسنه شعيب برقم ٢٢٧٥٧ وابن حبان رقم٢٧١ وابن خزيمة رقم ٩١ والحاكم ٤ / ٣٥٨ و والبيهقي في الكبرى ٦ / ٢٨٨ وفي الشعب ٢ / ٤٧ عن عبادة مرفوعا. وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٤٧ .

(٢) رواه مسلم ١٤٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم ١٢١٦من حديث جابر.

(٤) روضة المحبين، ص٩٢ .

(٥) رواه البخاري ١١ / ٦١٤ رقم ٦٦١٢، ٦٣٤٣ ومسلم ١٦ / ١٦٨ رقم٢٦٥٧ .

قال ابن القيم: (فبدأ بزنى العين لأنه أصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج، ونبه بزنى اللسان بالكلام على زنى الفم بالقبل، وجعل الفرج مصدقا لذلك إن حقق الفعل، أو مكذب له إن لم يحققه).

وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصى بالنظر وأن ذلك زناها ففيه رد على من أباح النظر مطلقا»[١]. اهـ

وقال ﷺ: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية**»[٢].

وفي رواية يا علي إن لك كنزا في الجنة فلا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة[٣].

قال الحافظ محمد بن عبد الله العامري رحمه الله: (...يعني أن النظرة الأولى نظرة الفجأة من غير قصد مبيح لك عفو بلا إثم وليست لك الثانية إذا أتبعتها نظرة تمتع. هذا خطابه لعلي رضي الله عنه مع علمه بكمال زهده وورعه وعفة باطنه وصيانة ظاهره يحذره من النظر، ويؤمنه من الخطر لئلا يدعي الأمن كل بطال ويغتر بالعصمة والأمن من الفتنة، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)[٤].

وقد سأل جرير رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال له: «**اصرف بصرك**»[٥].

ونظرة الفجأة هي كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يتعمده القلب لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تعمدا أثم، فأمر النبي ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولا يستديم النظر فإن استدامته كتكريره، وأرشد من ابتلي بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته، فقال: رسول الله «**إن معها مثل الذي معها**». فإن في ذلك التسلي عوض عن المطلوب بجنسه.

---

(١) روضة المحبين (ص٩٣).

(٢) رواه أحمد ٥ / ٣٥٣، ٣٥٧ وأبو داود ٢ / ٢٥٢ رقم، ٢١٤٩ عون٢١٤٩ والترمذي ٥ / ٩٤ رقم ٢٧٧٧، والحاكم ٣ / ١٩٤ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي٧ / ٩٠ . وحسنه الألباني في غاية المرام ص ١٢٣ .

(٣) رواه أحمد ١ / ١٥٩ والحاكم ٣ / ١٢٣ وحسنه شعيب في تحقيقه لمسند أحمد.

(٤) أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الخطر والآفات ص ٥٠ تقديم...مشهور حسن

(٥) رواه مسلم ١٤ / ١١٧ رقم ٢١٥٩ والترمذي رقم ٢٧٧٦ وأبو داود ٢ / ٢٥٢ رقم ٢١٤٨ والدا رمي ٢ / ٢٧٨ .

والثاني أن النظر يثير قوة الشهوة فأمر بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أصل كل فتنة[١]. اهـ

وقد روى أحمد [٥ / ٤٢٤] عن جابر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»)[٢].

قال الشيخ البسام: (فهذا دليل على تحريم النظر إلى وجه الأجنبية وإلا ما يباح للخاطب النظر من جسمها وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى ولا عبرة بالأقوال الضعيفة التي لا تستند إلى حق وصواب)[٣]. اهـ

وقد أحسن من قال:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

فتهذيب النفس والسيطرة على الغريزة لا يتم إلا بغض البصر ولا يكون غض البصر إلا لمن فعل المأمور واجتنب المحذور.

ويدخل في ذلك النظر إلى الصور خصوصا إن كانت الصورة لمعين أو معروف لأن نفس المرأة تتعلق بالرجل ونفس الرجل تتعلق بالمرأة فبسبب تصوير النساء المعروفات وقعت جرائم وهتكت أعراض وأصبحت بعض الفتيات العفيفات من المومسات كما سيأتي ذكر ذلك في أخر هذا الكتاب [قصص وعبر] وبسبب متابعة الصور المتحركة في القنوات والمجلات والإنترنت قد سافر كثير من الشباب إلى الخارج من أجل جريمة الزنا وغير ذلك من أنواع المعاصي لم يقتنعوا بالفساد الموجود في بلدانهم.

قال ابن القيم رحمه الله:

مل السلامة فاعتدت لحظاته ... وقفا على طلل يظن جميلا
مازال يتبع أثره لحظاته ... حتى تشحط بينهن قتيلا

---

(١) روضة المحبين ص ٩٦).
(٢) رواه أبو داود ٢ / ٣٩٢ رقم ٢٠٨٢ كما في صحيح أبي داود للألباني.
(٣) توضيح الأحكام ٤ / ٣٥٢-٣٥٣

وقال أيضا:

مـــازلـت تـتـــبـع نـظـرة في نـظـرة	في إثـر كـل مليـــحـــة ومليـح
وتظن ذاك دواء جرحك وهو في التـ	ـدقـيـق تجـــريح على تجــــريح
فـذبحت طـرفـك باللحـاظ وبالبكا	فـــالقـلـب منـك ذبـيـح ابـن ذبـيـح

وقال الشاعر:

وطرف الفتى يا صاح رائد فرجه	ومتعبه فاغضضه ما اسطعت تهتد

وفضول النظر يدعوا إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور في القلب؛ فيحدث أنواعا من الفساد في قلب العبد:... منها دخول الشيطان مع النظرة، فإنه ينفذ معها أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي؛ ليزين صورة المنظور، ويجعلها صنما يعكف عليه القلب، ثم يعبده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقي حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة... وقال أطباء القلوب: بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكن معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والأنس به، والسرور بقربه وإنما يسكن فيه أضداد ذلك)[١]. اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله في [شفاء العليل ص٢٨١-٢٨٢]: (فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدرة وإرادة، وعرفه ما ينفعه وما يضره وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه، فإجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكه وقال أجرها في هذه الطريق فعدل بها إلى الطريق الأخرى وأجراها فيها فغلبته بقوة رأسها وشدة سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين إدارتها إلى ورائها مع اختيارها وإرادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدوراً أصبت وإن قلت لم يبق في

---

(١) تزكية النفوس ص ٣٧ .

هذه الحال بيده من أمرها شيء ولا هو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم، وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها إلى محبتها فنهاه عقله وذكره ما في ذلك من التلف والعطب وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فعاد يعاود النظر مرة مرة ويحث نفسه على التعلق وقوة الإرادة ويحرض على أسباب المحبة ويدني الوقود من النار حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيهات لات حين مناص وأنشده:

تولع بالعشق حتى عشق **فلما استقل به لم يطق**
رأى لجة ظنها موجة **فلما تمكن منها غرق**

فكان الترك أولا مقدورا له لما لم يوجد السبب التام والإرادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعي واستحكمت الإرادة قال المحب لعاذله:

يا عاذلي والأمر في يده **هلا عذلت وفي يدي الأمر**

فكان أول الأمر إرادة واختيار ومحبة، ووسطه اضطراراً، وآخره عقوبة وبلاء، ومثل هذا برجل ركب فرسا لا يملكه راكبه ولا يتمكن من رده وأجراه في طريق ينتهي به إلى موضع هلاك، فكان الأمر إليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الأمر عن يده، فلما وصلت به إلى الغاية حصل على الهلاك، ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله إذا جنى عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختياراً، فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرارا، وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الأئمة ولهذا قالوا إذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لو يوقعوا الطلاق قولهم أفقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يعلم له في الصحابة مخالف ورجع عليه الإمام أحمد واستقر عليه قوله فإن الطلاق ما كان عن وطر والسكران لا وطر له في الطلاق) أهـ .

قال شيخ الإسلام: (العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعا، بل ويضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك، فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطي مشتهاه قوى مرضه وكان سببا لزيادة الألم) [مجموع الفتاوى ١٠ / ١٣٠].

وقال أيضا: (والانسان قد يبغض شيئا فيبغض لأجله أمورا كثيرة بمجرد الوهم والخيال وكذلك يحب شيئا فيحب لأجله أمورا كثيرة لأجل الوهم والخيال كما قال شاعرهم:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

فقد أحب سوداء فاحب جنس السواد حتى في الكلاب وهذا كله مرض في القلب في تصوره وإرادته فنسأل الله تعالى أن يعافي قلوبنا من كل داء ونعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء) [مجموع الفتاوى ١٠ / ١٣٤].

وقال الشاعر:

وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي

لا يجوز إطلاق النظر لعشرة أوجه:

أحدها: أن الله سبحانه أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرمه على العبد.

الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن نظر الفجأة، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر.

الثالث: أنه صرح بأن الأولى له وليست له الثانية، ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له.

الرابع: أن الظاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لا تناقصه، والتجربة شاهدة به، والظاهر أن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسن المخاطرة بالإعادة.

الخامس أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه .

السادس أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسن لتتم البلية .

السابع :انه لا يعان على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرمه عليه، بل هو جدير أن تتخلف عنه المعونة .

الثامن :أن النظرة الأولى سهم مسموم من سهام إبليس ومعلوم أن الثانية أشد سما فكيف يتداوى من السم بالسم؟ .

التاسع :أن صاحب هذا المقام في مقام معاملة الحق عز وجل في ترك محبوب كما زعم، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه، فإن لم يكن مريضا تركه، فإذا يكون تركه لأنه لا يلائم غرضه لا لله تعالى، فأين معاملة الله سبحانه بترك المحبوب لأجله؟ .

العاشر :يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك إذا ركبت فرسا جديدا فمالت بك إلى درب ضيق لا ينفذ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج، فإذا همت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردها إلى وراء عاجلا قبل أن يتمكن دخولها، فإن ردتها إلى ورائها سهل الأمر، وإن توانيت حتى ولجت وسقتها داخلا ثم قمت يجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى داخل؟ فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب،فإن عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه، وإن كرر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويلقى القلب في التلف . والسبب في هذا أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فجلبت

المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غض لاستراح قلبه وسلم، وتأمل قول النبي ﷺ: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس**» (١) فإن السهم شأنه أن يسر في القلب فيعمل فيه عمل السم الذي يسقاه المسموم، فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولابد.

قال المروذي: قلت لأحمد الرجل ينظر إلى المملوكة. قال أخاف عليه الفتنة، كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل. وقال ابن عباس: الشيطان من الرجل في ثلاثة: في نظره وقلبه وذكره، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها وقلبها وعجزها)(٢) اهـ.

---

(١) الحديث في الضعيفة برقم ١٠٦٥.

(٢) روضة المحبين (ص ٩٣- ٩٥).

فوائد غض البصر

وكما أن إطلاق البصر فيه أضرار كذلك لغضه فوائد :

أحدها : تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه . . .والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته .

الفائدة الثانية : أنه يورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه . . .

الفائدة الثالثة : أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل :

مرآة قلبك لا تريك صلاحه ... والنفس فيها دائما تتنفس

وقال شجاع الكرماني : من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته . وكان شجاع لا تخطئ له فراسة . والله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره عن المحارم حبس الله عنه بصيرته .

الفائدة الرابعة : أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له

بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض. ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه اظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة. وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه. قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين إن ذل المعصية لفي قلوبهم. أبى الله إلا أن يذل من عصاه. وقال بعض الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورا وفرحة، وانشراحا أعظم من اللذة والسرور والحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضا فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله مسرة ولذة أكمل منها، كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب. ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحا وسرورا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما. وهاهنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير. ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار:

كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول،

فمتى هتك الحجاب وقع في المحذور ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقتنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد فصاحب الطرف لا يقنعه التليد، وإن كان احسن منه منظرا وأطيب مخبرا، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا   حتى يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة التاسعة: أنه يقوى عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته العواقب. ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره.

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور ﴿**إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر:٧٢].

فالنظرة كأس من خمر، والعشق هو سكر ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر فإن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق قلما يفيق إلا وهو في معسكر الأموات، كما قيل:

سكر هوى وسكر مدامة   ومتى إفاقة من به سكران؟

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وإنما نبهنا عنه تنبيها ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلا إلى قضاء الوطر منه شرعا)[1]. انتهى مختصرا.

قلت: فالغفلة سبب مهم جدا لولاه ما قُبل العشق فقد تجعل الغفلة العبد ربما يصل به الحال إلى درجة البهيمية فلا يدري المصلحة من المفسدة حتى يكون في معسكر الموتى نادما بين الخاسرين قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ**

(١) المصدر السابق، ص ٩٧ – ١٠٥.

لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالغفلة تسبب خواء القلب من الخير وقبول كل شر، وأهم الشرور المتفشية والمعاصي المنتشرة عشق الرجال النساء والعكس، وربما وصل الأمر إلى عشق المردان. وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

قال أبو العتاهية:

الناس في غفلاتهم ... ورحا المنية تطحن

وإليك قصص من لم يغض بصره ويحفظ فرجه ولم يسلم من شر ما كسبت يداه في دنياه لعل في ذلك عبرة لمن وفقه الله:

البـــاب الأول

ذكر من مات بسبب عشقه وهيامه



الفصل الأول
ذكر من مات بسبب عشقه وهيامه

القصة الأولى
قصة امرأة فتنت بحب عابد حتى الموت

مما يذكر أن جارية عشقت غلامًا عابداً وافتتنت به ودعته إليها فأبى فلما زاد بها الوجد أعطت مصوراً مالاً فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم إلى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمة ثم التزمت لثم الصور فما جاء صباح اليوم الثاني إلا وهي ميتة إلى جانبه وعلى يدها مكتوب:

يا روح دونك روحي بعد سيدها خذها إليك فقد أودت بما فيها[1]

اهـ المراد بتصرف واختصار

القصة الثانية
قصة فتىً مات بسبب عشقه وهيامه

حكى الأصمعي قال بينما أنا أسير في البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت:

أيا معشر العشاق بالله خبروا إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره ويخشع في كل الأمور ويخضع

---

(١) تزيين الأسواق، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته :

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى   وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته :

إذا لم يجد صبرا لكتمان سره   فليس له شيء سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته :

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا   سلامي على من كان للوصل يمنع[١]

القصة الثالثة
قصة عاشقة شهقت شهقة ففارقت الحياة

حُكي عن الأصمعي رحمه الله تعالى أيضا أنه قال بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة إذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول :

بروحي فتى أوفى البرية كلها   وأقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا إنه ابن عمي هويني فهويته فكان إن أباح عنفوه وإن كتم لاموه فانشد بيتي شعر وما زال يكررهما إلى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله في قبر إلى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت :

يقولون لي إن بحت قد غرك الهوى   وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرئ يهوى ويكتم أمره   من الحب إلا أن يموت فيعذرا

ثم إنها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا »[٢].

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف.

(٢) المصدر السابق.

القصة الرابعة
قصـــة صاحب حمام منجاب

ذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له أن رجلا كان واقفا بإزاء داره وكان بابه يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر وهي تقول أين الطريق إلى حمام منجاب فقال لها هذا حمام منجاب، وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها معه في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفي تلك الدار وقالت له يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به أعيننا فقال لها الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها وتركها محلولة على حالها ومضى فأخذ ما يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثرا فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها وجعل يمشي في الطرق والأزقة ويقول:

يا رب قـــائلة يومـــا إذا تعـبــت ... أين الطريق إلى حـمـــام منجــاب

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

هلا جـعلت لهـا لما ظفـرت بهـا ... حـرزا على الدار أو قفـلا على البـاب

فازداد هيامه بها واشتد ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا(١). اهـ

فعلى كل امرأة أن تحذر من الرجال عموما ومن أمراض القلوب خصوصا فقد خدعت العديد من النساء ووقعن في شباك المجرمين .بسبب الخضوع بالقول والاختلاط وعدم الحجاب قال تعالى:﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: من الآية٥٣]

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٣٧-٣٨ للإمام القرطبي.

وما أشبه صاحب الحمام هذا بقول الشاعر:

ويبكي على المنى ويترك نفسه ... ويزعم أن قد قل عنها عزاؤه
ولو كان ذا رأي وعقل وفطنة ... لكان عليه لا عليها بكاؤه

القصة الخامسة
قصة قتيل الحب

روي أن النعمان بن بشير قال استعملني معاوية على صدقات بلى وعذرة[١] فإني لفي بعض مياههم إذ أنا ببيت منحرد[٢] ناحية وإذا بفنائه رجل مستلق وعنده امرأة وهو يقول أو يتغنى بهذه الأبيات :

جعلت لعراف اليمامة حكمة ... وعراق نجد إن هما شفياني
فقال نعم نشفي من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة إلا وقد سقياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

فقلت لها ما قصته فقالت هو مريض ما يتكلم بكلمة منذ وقت كذا وكذا إلى الساعة ثم فتح عينيه وأنشأ يقول:

من كان من أم هاني باكيا أبدا ... فاليوم إني أراني اليوم مقبوضا
يسمعننيه فإني غير سامعه ... إذا حملت على الأعناق معروضا

ثم خفت فمات فغمضته وغسلته وصليت عليه ودفنته وقلت للمرأة من هذا فقالت هذا قتيل الحب هذا عروة بن حزام[٣] .اهـ

(١) قبيلتان.
(٢) منفرد معتزل.
(٣) قصص العرب، ٤ / ١٢٨ .

القصة السادسة

قصة قيس ولبنى

لما مر قيس بن ذريح على خيمة من خيام بني كعب بن خزاعة وطلب ماء ليشرب خرجت إليه لبنى بنت الحباب لتسقيه فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء ثم انصرف وفي قلبه من لبنى حرا لا يطفأ فجعل ينطق بالشعر فيها حتى أتاها يوما آخر وقد اشتد وجده بها فسلم فظهرت له وردت سلامه فشكى إليها ما يلقى من حبها وشكت إليه مثل ذلك فأطالت وعرف كل واحد ما له عند صاحبه فانصرف إلى أبيه وسأله أن يزوجه إياها فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها فزوجها به إياها وزفت إليه بعد ذلك فأقامت معه مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا وكان أبر الناس بأمه فألهته لبنى فوجدت أمه في نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري ولم تر للكلام في ذلك موضعا حتى مرض مرضا شديدا فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفا وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا وألحت عليه في ذلك فعرض والد قيس أن يزوجه إحدى بنات عمه فأبى فأقسم عليه أن يطلقها فقال الموت علي أسهل من ذلك ولكني أخيرك خصلة من ثلاث خصال قال وما هي قال تتزوج أنت لعل الله أن يرزقك ولدا غيري قال فما في فضلة لذلك. قال فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعا لو مت في علتي هذه قال ولا هذه. قال فأدع لبنى عندك وارتحل عنك فلعلي أسلو عنها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي. قال لا أرضى أو تطلقها وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى فكان يخرج فيقف في حر الشمس ويجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل إلى لبنى فيبكي وتبكي معه وتقول له يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكني فيقول ما كنت

لأطيع أحدا فيك أبدا ومكث كذلك سنة ثم طلقها فلما بانت لبنى بطلاقه وفرغ من الكلام لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج آخر نشيج وبلغها الخبر . فأرسلت إلى أبيها ليحملها فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال ويحك ما دهاني فيكم فقالت لا تسألني وسل لبنى فذهب ليلم بخبائها فيسألها فمنعه قومها فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له مالك ويحك تسأل كأنك جاهل أو متجاهل هذه لبنى ترحل الليلة أو غدا فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول:

وإني مغن دمع عيني بالبكا … حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعده ذاك بلية … فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي … بكفيك إلا أن ما جاء حائن

ولما أدخلت في هودجها ورحلت وهي تبكي وقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فرجع ونظر إلى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ثم رجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدميها فليم وعنف على ذلك فقال:

وما أحببت أرضكم ولكن … أقبل إثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى … بلاء ما أسيغ له الشرابا
إذا نادى المنادي باسم لبنى … عييت فما أطيق له جوابا

ومرض قيس واشتد مرضه فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه لعله يتسلى ففعلن ذلك ودخل الطبيب ليداويه والفتيات معه فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته فقال:

عيد قيس من حب لبنى ولبنى … داء قيس والحب داء شديد
وإذا عادني العوائد يوما … قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها ... داء خبل فالقلب منه عميد

فسأله الطبيب بأسئلة ثم قال إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تعافه النفس من أقذار بني آدم فإن النفس حينئذ تنبو وتسلو ويحيف ما بها فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا ... وحسبك من عيب بها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر

ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة فأنّبه ولامه وقال له يا بني الله الله في نفسك فإنك ميت إن دمت على هذا فقال:

ولي مثل ما نابه غير أنني ... إلى أجل لم يأتني وقته بعد
هل الحب إلا عبرة بعد زفرة ... وحر على الأحشاء ليس له برد
وقبض دموع تستهل إذا بدا ... لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

ولما طال على قيس ما حل به بعد طلاق لبنى أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبنى فدعاه إلى ذلك فأباه فأعلمهم بما رد عليه قالوا فمره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه أن تقع على امرأة تعجبه فأقسم عليه أبوه أن يفعل فسار حتى نزل بحي من فزارة فرأى جارية حسناء كالبدر ليلة تمامه فقال لها ما اسمك يا جارية فقالت لبنى فسقط على وجهه مغشيا عليه فنضحت في وجهه ماء وارتاعت لما عراه ثم قالت إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون فأفاق فنسبته فانتسب فقالت قد علمت أنك قيس فحلف عليه أخ لها ليقيمن عنده شهرا فقال له لقد شققت علي ولكني سأتبع هواك فعرض عليه الصهر فقال له يا هذا إن فيك لرغبة ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهرة بينه وبينه على أخته المسماة لبنى وأدخلت عليه زوجته

فلم يره هش إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر إليها ثم خرج إلى المدينة وكان له صديق من الأنصار بها فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت إنه لغدار ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأني الآن أجيبهم. فزوجها أبوها بخالد بن حلزة فجزع قيس جزعا شديدا وجعل ينشج أحر نشيج ويبكي أحر بكاء ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها فناداه النساء ما تصنع الآن هنا قد نقلت لبنى إلى بيت زوجها؟! فنزل عن راحلته وجعل يتمعك في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي ثم قال:

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا   إلى الله فقد الوالدين يتيم

...إلخ وشخص أبو لبنى إلى معاوية فشكا إليه قيسا وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها فكتب معاوية إلى مروان يهدر دمه إن ألم بها فمرض قيس مرضا شديدا فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسلوة فقال قيس:

لقد عذبتني يا حب لبنى   فقع إما بموت أو حياة
فإن الموت أروح من حياة   تدوم على التباعد والشتات
وقال الأقربون تعز عنها   فقلت لهم إذا حانت وفاتي[١]

اهـ المراد باختصار وتصرف شديد.

ولا شك أن فتنة النساء أشد شيء على الرجال وقد جاء عن أبي عثمان النهدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**قال ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء وفي حديث ابن بشار لينظر كيف تعملون**»[٣].

(١) قصص العرب ٤ / ١٢٩-١٤٣، وليس المراد من ذكر كل ما جاء في القصة عند الرواة وإنما القصد هو: الاستشهاد بما يفعل العشق في أهله من إهانة وجنون وشقاء وبلاء.
(٢) رواه البخاري ٤٨٠٨، ومسلم ٢٧٤٠، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
(٣) رواه مسلم ٢٧٤٢.

ولكن الناس يتفاوتون في هذا الباب على حسب التقوى فكلما كان الإيمان في قلب المسلم أكثر كان أمنع له من اقتراف المعاصي وكل ما كان التقوى أقل كان أضعف فيتمكن مرض العشق والهيام من قلبه فتضيع هيبته وقدره وعزته.

وقال ابن القيم : [فهل من دواء لهذا الداء العضال ورقية لهذا السحر القتال وما الاحتيال لدفع هذا الخيال، وهل من طريق قاصد إلى التوفيق، وهل يمكن السكران بخمرة الهوى أن يفيق، وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه، وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سويداه فإن لامه لائم التذ بملامه لذكره لمحبوبه وان عذله عاذل أغراه عذله وسار به في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بلسان مقاله :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم. أهـ[1]

وقال الله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران ١٤-١٥].

(١) الجواب الكافي.

القصة السابعة
قصة كثّير وعزة

حُكي أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لا حجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف إذ نظر كثير لعزة وقد مضت إلى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل :

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت — فحي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف — عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل:

رحلت جمالهم بكل أسيلة — تركت فؤادي هائما مخبولا
لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا — حتى أودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا — جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا إني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه، فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم توادعا وافترقا فلما وصل الفرزذق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع «كُثيّر» فقال له اكتب إليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه إياها فكتب إليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فأصفر لونه وارتاع من ذلك وجدّ في السير ثم إنه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئا فراعك قال: نعم رأيت غرابًا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فإنه اغتراب، والبانة بَيْنٌ

والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام[١] وجد في السير إلى أن وصل إلى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي فقال إن هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول:

فما أعرف الفهدي لا درده ... وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة ... ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب واغتراب من النوى ... وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد»[٢].

القصة الثامنة
قصة أسامة القرشي مع زوجة أزدي

نحر أسامة يوما لضيوفه مائة من الإبل فأكلوا قليلاً وبقي الغالب، فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو أبقيت عليها الحاجة كان أولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على أزدي فنظرت إليه زوجته فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا أن يعرف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فأخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك، فعزم على قتله، فسم له قدحا من لبن وقدمه إليه فغمزته فأراقه. ثم ركب وسار فهوت ناقته في الخميلة على عرفجة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق أسامة فمات لوقته[٣].

---

(١) هذا من الطيرة ولا علاقة لما قدره الله سبحانه وتعالى بتطير الجاهلية.
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ٢ / ٢٦٦.
(٣) تزيين الأسواق ١ / ٢٤١ – ٢٤٢.

القصة التاسعة
قصة فتى أسدي مع ابنة عمه

ذكر أن فتى أسدي أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج إلا بأرفع منها وأبى الغلام إلا هي فلما آيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام. وأنه لقيها يوما فأنشد:

لعمري يا سعد لطال تأيمي ... ومعصيتي شيخي فيك كلاهما
وتركي للحيين لم أبغ منهما ... سواك ولم يربع هواي عليهما

فقالت الجارية:

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي ... كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة ... تكاد لها نفسي تسيل من الوجد
غلبت على نفسي جهارا ولم أطق ... خلافا على أهلي بهزل ولا جد
ولن يمنعوني أن أموت برغمهم ... غدا جوف هذا الغار في جدث وحدي
فلا تنس أن تأتي هناك فتلتمس ... مكاني فتشكو ما حملناه من جهد

فقد أوضحت له أنها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة، فاحتملها إلى شعب بذرى جبل يقال له عرفات ملتزما لها فمات(١).

لقد فاز العقلاء بابتعادهم عن الشرور والبلاء وطاعتهم رب الأرض والسماءِ، فعاشوا في سعادة وهناء، وخسر أهل الأهواء بعيشهم في ذل وشقاء ونكد وعناء واستسلامهم لمكائد الشيطان وسيطرة الهوى.

وقد أحسن من قال:

خالف هواك إذا دعاك لريبة ... فلرُبَّ خير في مخالفة الهوى
علم المحجة بين لمريده ... وأرى القلوب عن المحجة في عمى

(١) المصدر السابق، ١ / ٢٧١ - ٢٧٢.

ولقـد عـجـبت لهـالك ونجـاته ... مـوجـودة ولقـد عـجـبت لمن نجـا
وعجبت إذ خشي الحمام وليس لي ... دون الحـمـام وإن تـأخـر منتـهى
مع أن سـاعـات النهـار ندبن لي ... رسـلاً وإني لا أزال عن الخطا
فلئن نجـوت فـإنما هي رحـمـة الـ ... رب الرحـيم وإن هلكت فـالجـزا

وصدق رب العزة إذ يقول: ﴿ **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴾ [القيامة ٢٦-٣٠].

وقال الشاعر:

إذا المرأ لـم يغلـب هـواه أقـامـه ... بمنـزلة فـيـهـا العـزيز ذليـل

ولا شك أنه قد علم بحال هذا الرجل أهل بلده وثناء الناس على الميت بالشر موجب له النار فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مُرّ بجنازة فأُثني عليها خيراً فقال نبي الله ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**»، ومر بجنازة فأُثني عليها شراً فقال نبي الله ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**»، قال عمر فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثني عليها خيرًا فقلت وجبت وجبت وجبت ومُرّ بجنازة فأثني عليها شرًا فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض**»[١].

---

(١) مسلم (٩٤٩).

الفصـــل الثانـــي
ذكر من خانت زوجها فقتلها

القصة الأولى
قصة عاشقة قتلت مع أمها

حكي أن رجلا عشق ابنة عمه حتى فني في حبها فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر إلى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع وإن ابن عم لها غيره اكترى دارا إلى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر فنزلت إليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل أمها فقالت إنها تقضي حاجة.

فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها وإذا هي قد أتت من الدار فعزم عليها أن تصدقه أين كانت فقالت أما إذا عزمت علي فإني أصدقك وحدثته القصة، فرمى عنقها وعنق أمها وهرب(١).

القصة الثانية
قصة حبيبين مسمومين

حكي أن رجلا موصليًا علق امرأة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة وجاء يومًا فوجدها تأكل في طعام لم يكن جاء به هو. فسألها عنه فقالت من بعض أهلي.

---
(١) المصدرة السابق، ٢ / ٢٠.

فـداخله من ذلك شيء وقـوي عنده وتجـسس عن أمـرها فلم يقع على شيء فمضى وركب دواء سميا ثم جاء به إليها فقال احتفظي بهذا فإنه باهي- أي يقوي الباه - فقالت كل منه، فأكل ورفعت الباقي ومضى فعالج نفسه من السم.

وعاودها بعد يوم متمرضا فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقي السم فمات من ليلته(١).

(١) المصدر السابق.

الفصـــل الثالـــث
ذكر من عشق من الرجال الغلمان حتى الموت

القصة الأولى
قصة رجل عشق غلاما نصرانيا حتى الموت

ذكر أن أديبا أولع بحب غلام نصراني يقال له عمرو بن حني من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقة فبدأ مدرك بن علي الأديب ينشد بالشعر حتى أخرجه من الملة ومن هذا قوله:

إن كـــان ذنبي عنده الإســـلام فـقـد سـعت في نقـصـه الآثام
واخـتـلاف الصـلاة والصـيـام وجـــاز في الدين له الحـــرام

ثم إنه زاد به الشغف وصار إلى التلف ولزم الفراش وذهب لبه وطاش فحضره بعض أصدقائه عائدا ولمودته رائدا فوجدوه في حالة شنيعة وهيئة فظيعة فقال لهم ألست صاحبكم القديم وصديقكم النديم أفلا أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو فقد ضاع مني الأجل والعمر فمضوا إلى عمرو مسرعين وعلى الإجماع بينهما مجمعين فأخبروه بالحال وأعلموه بما إليه مدرك قد آل فلبس ثيابه مبادرا ولجناب مدرك زائرا فدخل عليه وسلم وأخذ بيده وتبسم وقال كيف تجدك يا سيدي فهذه يدك في يدي فنظر إليه البائس ثم غاب من فرط وجده وفرحته بعابد الصليب وعظم المودة ثم أنشده شعرا ثم شهق شهقة فارق الدنيا»[١].

[انظر كتاب من أخبار المنتكسين ص٣٣-٣٤] .



القصة الثانية
قصة رجل عشق غلاما فدفن معه

حكي أبو حمزة الصوفي أن محمد بن قطن الصوفي صحب غلامًا زمنًا طويلاً فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه. فرأيته يومًا وقد وقف على قبره يبكي والسماء تمطر فما برح حتى جئت من الغد فوجدته ميتا فدفنته إلى جانبه.

[تزيين الأسواق ص ١٠٧]

القصة الثالثة
قصة رجل عشق غلاما فلما منع من المجيء إليه مات

صحب أبو الحسين غلاما كأنما خلق الحسن على صورته ،أو خلق من نفس من ينظر إليه فكان يأتي به إلى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام أهله من صحبة أبي الحسين فنحل حتى شارف الموت فأنشد :

يا من بدائع حسن صورته	تثني إليه أعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم	نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم	وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات[١].

(١) المصدر السابق، ص ١٠٧ .

القصة الرابعة
قصة مهرجان الصوفي وغلامه

ذكر ابن الجوزي في تلبيس إبليس ١ / ٣٣٠-٣٣١ : (قول أبي الكميت الأندلسي صحبت رجلا من الصوفية يقال له مهرجان وكان مجوسيا فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاما جميلا لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبة ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مرارا فاذا اسفر الصبح أو كان يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى علي سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت علي الحفظة فيه معصية وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم يقول يا ليل اشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدي أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتني قلت نعم قال فو الله يا أخي إني لأداري من قلبي ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقا بالمغفرة له فقلت وما الذي يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله .



القصة الخامسة
حزن غلام على موت صوفي كان قد عشقة

قال أبو حمزة الصوفي رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدا وعظما من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبدا فقال

كيف أسلو عن رجل أجل الله عز وجل أن يصيبه معي طرفة عين أبدا وصانني عن نجاسة الفسوق في خلول صحبتي له وخلواتي معه في الليل والنهار.

قال المصنف رحمه الله هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس في صدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذي ينبغي أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذي ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة بمجاهدة الطبع في كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فإن الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع في غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحه إن لم يهلك) أهـ .

القصة السادسة
قصة جندي وعشقه الغلامين

كان محمد بن الحسين الضبي وعبد العزيز بن الشاه التيمي كأنهما هلالان أو درتان من حسنهما وجمالهما، فسمعا كلام أبي عبد الله الديلمي، وكان من أحسن الناس كلاماً وأظهرهم خشوعاً وأكثرهم صلاة واجتهاداً، فصحباه، وكانا معه لا يأمن عليهما أبواهما أحداً غيره، فكان يحج بهما في كل عام ، ويرابط معهما في السواحل سائر سنيه، حتى أخذا منهن ووعيا عنه، وتأسيا بأخلاقه ، واحتذيا على طريقته وكانا مقبلين على طلب الخير والجهاد، فخرج بهما فرآهما رجل من الجند، فرأى شيئاً لم ير مثله، فأراد أخذهما منه، فحال بينه وبينهما، وأعانه الناس على ذلك، وكان مشهوراً بالنسك والعفاف، فاغتاله الجندي فقتله، وقبض على الغلامين، فامتنعا عليه، واستغاثا بالناس، فجاؤوا فنظروا إلى أبي عبد الله الديلمي مقتولاً، فأخذوا الجندي، وأتوا به السلطان فقتله)[١].

---
(١) مصارع العشاق، ١ / ٦٢ .

خطر محادثة المردان ومجالستهم

قال ابن الجوزي: (كان سفيان لا يدع أمرد يجالسه وروى إبراهيم بن هانيء عن يحيى بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتي ولاحمد بن حنبل قال في طريق. وباسناد عن أبي يعقوب قال كنا مع أبي نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت يا شيخ أين مكان باب حرب فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال أيش تريد فقال باب حرب فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه فقال نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسي من شيطانيه.

وبإسناد عن عبد الله بن المبارك يقول دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام عشرة شياطين وباسناد عن محمد بن احمد بن أبي القسم قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه إلى السماء منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث في المجلس بين يديه فقال له قم من حذائي فأجلسه من خلفه. وباسناد عن أبي إمامة قال وكنا عند شيخ يقرىء فبقي عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبي وقال أصبر حتى يفرغ هذا الغلام وكره أن يخلو مع هذا الغلام، وباسناد عن أبي علي الروزباري قال قال لي أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا علي من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الأنس بالأحداث فقلت له يا سيدي أنت بهم أعرف وقد تصحبهم السلامة في كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيمانا منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التي تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط صحبة الأحداث وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصيد بها الصوفية)[1].

---

(١) تلبيس إبليس ١ / ٨٣٣.

تحريم فاحشة اللواط

إن فاحشة اللواط جريمة كبرى وفعلة نكراء فهي مفسدة للأخلاق وممحقة للرجولة ولهذا انكرتها العقول الصحيحة ورفضتها الفطر السليمة وحرمها الشرع.

قال شيخ الإسلام: (فلم يوجد عشق قط إلا وضرره أعظم من منفعته، ولهذا قال أبو القاسم القشيري في رسالته ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ هذا عبد أهانه الله وخذله بل عن نفسه شغله ولو لألف ألف كرامة أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء لما في الخبر من التلويح بذلك أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعد ذلك يسيرا وقد قال تعالى: ﴿ **وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾ [النور: ١٥].

وهذا الواسطي رحمه الله يقول إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف).

قال بعضهم:

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها
ولا تقرب المرعى الحرام فإنما ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها

قال الله تعالى عن قوم لوط: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١]. وقال الله تعالى: ﴿ **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [النمل: ٥٤-٥٥].

عقوبة اللوطية

لقد ذكر الله قصة قوم لوط في غير موضع من كتابه الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ** ﴾ [هود: ٨٢]. وهذا جزء من العذاب في الدنيا وقد شرع الله إقامة الحدود علنا بقتل من قتل النفس

التي حرم الله عمدا بغير حق وقتل الفاعل والمفعول به الذين يعملان فاحشة اللواط ورجم الزاني المحصن وجلد وتغريب من ليس بمحصن وجلد شارب الخمر وفي ذلك زجر لكل من يرتكب الجريمة ومحاربة لأنواع الجرائم وصيانة لدماء المسلمين وعقولهم وأعراضهم .

أما الجزاء في الآخرة فيكفي أن أذكر قول الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور :٢٤] .

و قول الله تعالى :﴿ **حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [فصلت : ٢٠] .

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : «**هل تدرون مم أضحك ؟**»، **قال قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم ، قال يقول : بلى قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه انطقي ، قال فتنطق بأعماله قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال فيقول ، بعداً لكن وسحقًا فعنكن كنت أناضل**»)[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن تحريم فاحشة اللواط : (فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ودين سائر الأمم بعد قوم لوط تحريم الفاحشة اللوطية ولهذا بين الله في كتابه انه لم يفعلها قبل قوم لوط أحد من العالمين وقد عذب الله المستحلين لها بعذاب ما عذبه أحدا من الأمم حيث طمس أبصارهم وقلب مدائنهم فجعل عاليها سافلها واتبعهم بالحجارة من السماء ولهذا جاءت الشريعة بأن الفاحشة التي فيها القتل يقتل صاحبها بالرجم بالحجارة كما رجم النبي ﷺ اليهوديين وماعز بن مالك والأسلمى والغامدية وغيرهم ورجم بعده خلفاؤه الراشدون والرجم شرعه الله لأهل التوراة والقرآن وفى السنن عن النبى ﷺ : «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط**

---

(١) رواه مسلم ٢٩٦٩ .

فاقتلوا الفاعل والمفعول به» ولهذا اتفق الصحابة على قتلهما جميعا لكن تنوعوا في صفة القتل فبعضهم قال يرجم وبعضهم قال يرمى من أعلى جدار في القرية ويتبع بالحجارة وبعضهم قال يحرق بالنار ولهذا كان مذهب جمهور السلف والفقهاء أنهما يرجمان بكرين كانا أو ثيبين حرين كانا أو مملوكين أو كان أحدهما مملوكا للآخر وقد اتفق المسلمون على أن من استحلها بمملوك أو غير مملوك فهو كافر مرتد .

وكذلك مقدمات الفاحشة عند التلذذ بقبلة الأمرد ولمسه والنظر إليه هو حرام باتفاق المسلمين كما هو كذلك في المرأة الأجنبية كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال : «**العينان تزنيان وزناهما النظر والأذن تزني وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**» . . .ولهذا كان المشائخ العارفون بطريق الله يحذرون من ذلك كما قال فتح الموصلي ادركت ثلاثين من الأبدال كل ينهاني عند مفارقتي إياه عن صحبة الأحداث، وقال معروف الكرخي كانوا ينهون عن ذلك، وقال بعض التابعين ما أنا على الشاب الناسك من سبع يجلس إليه بأخوف منى عليه من حدث يجلس إليه، وقال سفيان الثورى وبشر الحافى ان مع المرأة شيطانا ومع الحدث شيطانين، وقال بعضهم ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه الله بصحبة هؤلاء الأحداث، وقد دخل من فتنة الصور والأصوات على النساك مالا يعلمه إلا الله حتى اعترف اكابر الشيوخ بذلك وتاب منهم من تداركه الله برحمته، ومعلوم أن هذا من باب اتباع الهوى بغير هدى من الله ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص : ٥٠](١) أهـ .

وقال ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين عن المردان الحسان : (فإن إطلاق النظر إليهم السم الناقع والداء العضال، وقد روى الحافظ محمد بن ناصر من حديث الشعبي مرسلا قال (قدم وفد عبد القيس على النبي وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى من النظر)(٢)، وقال سعيد بن

---

(١) مجموع الفتاوى، ج ١١، ص ٥٤٢ - ٥٤٥ .

(٢) الحديث في الضعيفة برقم ٣١٣ وبلفظ آخر رقم ٥٧٦ .

المسيب إذا رأيتم الرجل يحد النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه، وقد ذكر ابن عدي في كامله من حديث بقية عن الوازع عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد)[١] وكان إبراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهما من السلف ينهون عن مجالسة المردان، قال النخعي مجالستهم فتنة وإنما هم بمنزلة النساء، وبالجملة فكم من مرسل لحظاته رجع بجيش صبره مغلولا ولم يقلع حتى تشحط بينهم قتيلا) . أهـ

ومما قيل في ذم اللواط:

ولا تحسبوا أن الذين نكحتموا يغيبون عنكم بل ترونهم جهرا
ويلعن كل منكم لخليله ويشقى به المحزون في الكرة الأخرى

(٣) رواه ابن عدي في الكامل وهو ضعيف انظر الرد المحم للالباني ١٣٩ والضعيفة رقم ٥٩٦٩ .

الفصل الرابع
نهايـــة ذئاب بشريـــة

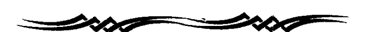
يقـول أحـد الذئـاب البـشـرية كنا نذهـب لاصطياد الفـتـيـات السـاذجـات بالكلام المعسول ونستدرجهن إلى المزارع البعيدة وهناك يفاجأن بأننا قد تحولنا إلى ذئاب لا نرحم توسلاتهـن بعـد أن مـاتت قلوبنـا ومـات فينا الإحسـاس، هـكذا كـانت أيامنـا وليـالينا في المزارع، في المخيمات، والسيارات، على الشاطئ... إلى أن جاء اليوم الذي لا أنساه.

ذهبنا كـالمعتـاد للمزرعـة كـان كل شـيء معـدا جـاهزا الفـريـسـة لكل واحـد منا الشـراب الملعـون...شيء نسـيناه وهو الطعـام وبعـد قليل ذهـب أحـدنا لـشـراء طعـام العشـاء بسيارتـه كـانت السـاعة السـادسة تقريبـا عندمـا انطلق ومرت السـاعـات دون أن يعود وفي العاشرة ليلا شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتي أبحث عنه وفي الطريق شـاهدت بعض ألسـنة النار تندلع على جانبي الطريق وعندمـا وصلـت فـوجـئت بأنهـا سيارة صديقي والنار تلهمها وهي مقلوبة على أحد جانبيها أسرعت كالمجنون أحاول إخراجه من السـيارة المشتعلة وذهلت عندمـا وجـدت نصف جسـده وقـد تفحـم تمامـا لكنه مـا يزال على قيـد الحـيـاة فنقلتـه إلى الأرض.. وبعـد دقيـقـة فتح عينيـه وأخـذ يهذي ويقول النار النار فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى لكنه قال بصـوت بـاك لا فـائدة لن أصـل فـخـنقـتني الـدمـوع وأنـا أرى صـديقي يموت أمـامي وفوجئت به يصرخ ويقول ما ذا أقول؟.. مـا ذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشة وسألته ما هو؟ قـال بصـوت كـأنه وسط بئـر من ضـعـفـه وبعـده أريـد الله مـا ذا أقـول وأنـا أقف بين يديه ولن ينفعني ندمي ولا تحسري هذه الساعة وضاع العمر وذهب الشباب وطويت صـفـحـة الدنيـا وهـا أنا ذا أسـتـقبـل الآخـرة وأودع الأهـل والأصـدقـاء ثم أغـمض عـينيـه وسـكـت لسانه[١]. أهـ

(١) الأعمال بالخواتيم، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

قال أحد الشعراء:

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج ... فأمنن علي به ما دام بي رمق



الفصل الخامس
ذكر من انتهى حاله إلى الموت بسبب عشقه وامتناعه عن القوت

يُحكى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: حدثني رجل من بني تميم قال: (خرجت في طلب ضالة لي، فبينما أنا أدور في أرض بني عذرة أنشد ضالتي إذ أتيت منزلاً معتزلاً عن البيوت، وإذا في كسر البيت فتى شاب مغمى عليه، وعند رأسه عجوز لها بقية من جمال شاهية تنظر إليه، فسلمت، فردت السلام، فسألتها عن ضالتي فلم يك عندها منها علم، فقلت لها: أيتها العجوز، من هذا الفتى؟ قالت: ابني، ثم قالت: هل لك في أجر لا مؤنة فيه؟ فقلت: والله إني لأحب الأجر وإن رزيت، فقالت: إن ابني هذا يهوى ابنة عم له، وكان علقها وهما صغيران، فلما كبرت حجبت عنه فأخذه شبيه بالجنون، ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطبها غيره فزوجها إياه، فنحل جسم ولدي واصفر لونه وذهل عقله، فلما كان مذ خمس زفت إلى زوجها، فهو كما ترى، لا يأكل ولا يشرب، مغمى عليه، فلو نزلت إليه فوعظته قال: فنزلت إليه، فلم أدع شيئا من المواعظ إلا وعظته حتى إني قلت فيما أقول: إنهن الغواني صواحبات يوسف، الناقضات العهد، وقد قال فيهن كُثير عزة:

هل وصل عزة إلا وصل غانية ... في وصل غانية عن وصلها خلف

قال: فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب، وهو يقول: كثير عزة إن كثيرا رجل مايق[1]، وأنا رجل وامق[2]، ولكني كأخي تميم حيث يقول:

ألا لا يضر الحب ما كان ظاهرا ... ولكن ما احتاف الفؤاد يضير

---

(١) المائق الباكي من شدة الغيظ. قال أبو بكر: قولهم فلان مائق فيه ثلاثة أقاويل: قال قوم: المائق السيء الخُلق من قولهم: «أنت تئق وأنا مئق»، أي أنت ممتلئ غضباً وأنا سيئ الخلق فلا نتّفق. وقيل المائق: الأحمق ليس له معني غيره. وقال قوم: المائق: السريع البكاء القليل الحزم والثبات، من قولهم: ما أباتته أمُّه مَنِقًا أي ما أباتتهُ باكيا. تهذيب اللغة (٣ / ٢٩٣).

(٢) وامق محب. قال الليث: يقال: ومقت فلاناً أمقه وأنا وامق، وهو موموق، وأنا لك ذو مقة، وبك ذو ثقة. المصدر السابق.

ألا قاتل الله الهوى كيف قادني كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له: إنه قد جاء عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «**من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي**». فأنشأ يقول:

ألا ما للمليحة لم تعدني أبخل بالمليحة أم صدود؟
مرضت فعادني أهلي جميعا فمالك لم تر فيمن يعود؟
فقدتك بينهم فبليت شوقا وفقد الإلف يا أملي شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه وحولي من ذوي رحمي عديد
ولو كنتِ المريض لكنت أسعى إليك وما يهددني الوعيد

قال: ثم شهق شهقة وخفت فمات، فبكت العجوز، وقالت: فاضت والله نفسه، فدخلني أمر لم يدخلني مثله، فلما رأت العجوز ما حل بي قالت: يا فتى، لا ترتاع، مات والله ولدي بأجله واستراح من تباريحه وغصصه، ثم قالت: هل لك في استكمال الضيعة، قلت: قولي ما أحببت قالت: تأتي البيوت فتنعاه إليهم ليعاونوني على رمسه، فإني وحيدة. قال: فركبت نحو البيوت فرسي، فإذا أنا بجارية أجمل ما رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس، فقالت: بفيك الحجر المصلت، من تنعي؟ قلت: أنعى فلانا قالت: أو قد مات؟ قلت: إي والله قد مات قالت: فهل سمعت له قولا؟ فقلت: اللهم لا، إلا شعرا قالت: وما هو؟ فأنشدتها قوله:

ألا ما للمليحة لم تعدني أبخل بالمليحة أم صدود؟

فاستعبرت باكية، وأنشأت تقول:

عداني أن أزورك يا مناي معاشر كلهم باغ حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي وعابونا وما فيهم رشيد
فلما أن ثويت اليوم لحدا وكل الناس دونهم لحود
فلا طابت لي الدنيا فواقا ولا لهم ولا أثرى العديد

ثم شهقت شهقة خرت مغشيًا عليها وخرج النساء إليها من البيوت، واضطربت ساعة وماتت فوالله ما برحت الحي حتى دفنتهما جميعًا)[1].

(١) اعتلال القلوب للخرائطي ١/ ٤٢٠ وقد نقلها صاحب كتاب طرائف ونوادر، ص ١٥٠ – ١٥١.

الفصل السادس
ذكر من قتل نفسه بسبب العشق

القصة الأولى
شـــر البلية ما يضحك

هوى بشير الأشتر جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها أهله عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة. فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء إلى صديق يقال له نمر فقال له هل عندك صنيع تمن به علي عسى أن تعود روحي إلي قال أشر بما شئت فإني فاعل قال تمضي إلى حي جيداء فإذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعداً، قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت إلى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي بعد العشاء عند شجرات هناك. فلما كان الليل أقبلت، فقام إليها بشير وهممت بالانصراف عنها فقال والله ما بيننا أكثر مما ترى فمكانك، فجلسنا حتى مضى شطر من الليل. فعزمت على الذهاب، فكادت نفس بشير أن تزهق، ثم سألها الإقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم فرمت بثيابها إلي وقالت اذهب إلى خدري كأنك أنا فيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ارم به إليه، فإني أفعل ذلك فإن عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فإنه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة.

قال نمير ففعلت غير أني بعد أن طال وقوفه باللبن وأراد وضعه وأردت أخذه تخالفنا فكب القدح فقال هذا طماح[1] ثم عمد إلى سوط مفتول فضربني حتى

(١) طمح بصره إليه: ارتفع نظره شديداً، وطمحت المرأة على زوجها. جمحت.

زايلتني نفسي. وهممت أن أوجزه بالسكين فخلصوني وردوا علي الستر وجاءت أمها تعنفني وتوصيني بأن لا أخالف زوجي ظنا أنني ابنتها وتقول مالك وللأشتر؟

ثم قامت عني على أن ترسل إلي ابنتها الأخرى تؤنسني. فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني. واضطجعت إلى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت إن أختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على أختك فارتعدت ساعة ثم أنست فبت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى إذا جاء الصباح وأقبلت أختها فأنكرت من معي فقلت هي أختك وستخبرك بما كان. ثم مضيت إلى بشير فأعلمته بالخبر، فلما رأى تأثير السوط في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك.

قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير إلا دون شهر وجاءه شخص فقصد ممازحته فقال وهو يتناول عنبا أتفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه إلا شهقة وحرك فإذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هناك فماتت(١).

القصة الثانية
قصة ذرعة بن خالد العذري وظريفة

خرج ذرعة يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن من الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم، ووجهها من خلفه كأنه البدر في ثمه. فحين أبصرها سقط مغشيا عليه فقامت إليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وأبصرها قال وهل مقتول يداويه قاتله قالت كفيت ما تشكو، وحادثته فثابت نفسه إليه وقد داخلها ما داخله من الحب. ثم رجع وهو

(١) تزيين الأسواق، ١ / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

يقول خرجنا لنصيد فاصطدنا ثم أنشد :

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا ... من الريم صادتني سريعا حبائله
فلما رماني بالرمال مسارعا ... رقاني وهل ميت يداويه قاتله
ألا في سبيل الحب صب قد انقضى ... سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم إنه لزم الوساد أياما وإن أمه أقسمت عليه حين سمعته يكرر الأبيات إلا ما أخبرها بحاله فأظهرها على الأمر فعرفت الجارية فإذا هي ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذري فمضت إليها وأعلمتها القصة وقبلت رجليها على أن تزور بيتهم، فعسى أن يشقّى ولدها. فقالت إن الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر إليه فإن أمسكه فإنه يشفى.

ثم جزت لها شيئا من شعرها فلما ذهبت إليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيئا فشيئا حتى اشتهى ما يأكل فقدم إليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبا من الأبيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضا إلى أن فطن أهلها فآلوا على قتله وبلغه فوقع إلى اليمن. وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك. فلما كان يوم من الأيام، وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعوني فإني أرجو أن أظفر أو أموت فصحبه غلام. قال أبو شراعة فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الأبيات ويقول له إذا حاذيت موضع كذا فأنشدها رافعا صوتك ولك أحد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فأنشد :

مريض بأفناء البيوت مطرح ... به ما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا لأجل اليأس عودي لعل ما ... تشكاه من آلام وجدك يمسح
وليس دواء الداء إلا بحيلة ... أضر بنا فيها غرام مبرح
إذا ما سألناها نوالا تنيله ... فصم الصفا منها بذلك أسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقرته بالأبيات ينشدها فسمعت من بعض الأبيات قائلا يقول :

رعى الله من هام الفؤاد بحبه ... ومن كدت من شوقي إليه أطير

لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة فإن الوشاة الحاضرين كثير
فيمشون يستشرون غيظا وشرة وما منهم إلا أب وغيور
فإن لم أزر بالجسم رهبة مصدر فللقلب آت نحوكم فيزور

ثم رجع الصبي فأنشد أبياتها فأغشي عليه ساعة ثم أفاق وهو ينشد:

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي فيا ليت شعري ما بنو العم صنع
أراهم وللرحمن در صنيعهم يراق دمي هدرا وينسى المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه أياما إلى أن زفت ظريفة إلى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم أغمي عليه فحرك فإذا هو ميت. وبلغها خبره فلزمت البكاء عليه أياما ولم تمكن الرجل من نفسها، فلما كانت ذات ليلة خرجت بعد انتصاف الليل فتبعتها حتى انتهت إلى نهر فألقت بنفسها فيه، فأخرجتها وليس بها حراك ثم احتملتها إلى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فأشارت أن تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها(١).

(١) تزيين الأسواق، ١ / ٢٤٧ - ٢٤٩.

الفصل السابع
ذكر من قتل بسبب العشق

القصة الأولى
قصة عشق الشنفري

كان عمر بن مالك الأزدي الشنفري يحب ابنة رجل كان قد سباه وكان الشنفري قد أحبها وهما يرعيان البهم. فلما خلى بها هم بتقبيلها فصكت وجهه ثم سعت إلى أبيها فأخبرته فخرج إليه ليقتله فوجده يقول:

ألا هل أتى فتيان قومي جماعة   بما لطمت كف الفتاة هجينها
ولو علمت تلك الفتاة مناسبي   ونسبتها ظلت تقاصر دونها
أليس أبي خير الأوس وغيرها   وأمي ابنة الخيري لو تعلمينها
إذا ما أروم الود بيني وبينها   يؤم بياض الوجه مني يمينها

فلما سمع قوله سأله من أنت فقال أنا الشنفري أخو بني الحرث بن ربيعة فقال له لولا أنني أخاف أن يقتلني بنوسلامان لأنكحتك ابنتي فأجابه علي إن قتلوك أن أقتل منهم مائة رجل. فأنكحه ابنته ثم خلى سبيله فسار إلى قومه فشدت بنو سلامان على والد زوجته فقتلوه فلما بلغ الشنفري مقتل عمه طفق يصنع النبال ويجعل رؤوسها من القرون والعظم ثم بدأ يغزو بني سلامان ويمعن في قتلهم حتى قتل تسعة وتسعين منهم فعرفوه من نباله فطاردوه حتى قتلوه وصلبوه فلبث مصلوبا عاما أو عامين[1].



(١) المصلوبين في العصور العربية، ص ٩٨ – ٩٩ .



القصة الثانية
قصة المرأة التي قتلت ضيفها

خرج أعرابي من أسد لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة فقدمت له ما يحتاج إليه، فلما لم يرى عندها أحداً سامها نفسها فقالت على رسلك لأصلح من شأني .وغابت ثم جاءت وقد أخفت مدية، فوثب ليعانقها فضربته بها في نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم. وجاء بعض أهلها وهي على تلك الحالة فأجلسها حتى سكن ما بها، وحدثته بالقصة، فشاعت حتى قال فيها شاعرهم هذه الأبيات :

لعمري لقد حفت معاذة ضيفها	وسوت عليه مهده ثم برت
فلما بغاها نفسها غضبت لها	عروق نمت وسط الثرى فاستقرت
وشدت على ذي مدية كف معصم	وضيء وعرت نفسها فاستمرت
فأمت بها في نحره وهو يبتغي	النكاح ومرت في حشاه وجرت
فثج كأن النيل في جوف صدره	وأدركهاضعف النساء فخرت[١]

القصة الثالثة
قصة عاشق تسبب في قتل حبيبته وزوجها

كان في جواري بغداد امرأة جميلة مستورة ولها ابن عم يهواها كان ربي معها فعدل أبوها عنه إلى رجل غريب زوجه بها فكان ابن العم يلزم بابها طمعا فيها وأحس الزوج بذلك فكان يتحرز وكان خبيثا فخرج يوما في بعض شأنه. وأرادت المرأة أن تتبرد فنزعت ثيابها وجلست عند البئر تغتسل وتركت خواتيم ذهب كان في يدها عند ثيابها في الدار وكانت لطيفة وفيها عقعق[٢] محلى في الدار، فأخذ الخواتيم وخرج وهي في منقاره إلى الباب على عادة العقاعق في أخذ كل ما يجدونه

(١) تزيين الأسواق، ٢ / ٢٨ .
(٢) العقعق طائر ريشه كالغراب.

وخبئه، فوافق خروجه اجتياز ابن عمها ورأى الخواتيم فسعى خلف العقعق وأخذها منه ولبسها وقعد بالباب ليراه زوج المرأة فيظن أنه كان عندها فيطلقها فيتمكن هو من تزوجها. فجاء الزوج فقام ابن العم مسلما عليه وتعمد أن يرى الخواتيم في يده وانصرف فعرفها الزوج ودخل فرأى امرأته تغتسل فلم يشك أنه غسل جنابة وأن ابن العم قد وطئها فقال لجارية كانت معهم اذهبي في حاجة كذا فمضت فيها وغلق الباب وأضجع المرأة ولم يسلها عن شيء وقتلها. وعادت الجارية فرأت ستها مقتولة فريعت وخرجت وصاحت فبدر الجيران به وأهلها فقبضوا عليه وحمل إلى السلطان فقتل بها)[٣] أهـ باختصار.

القصة الرابعة
قصة صوفي عشق غلاما فقتله

قال ابن الجوزي: (بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له بالله عليك إلا ما أقدتني به فقال الآن قد عفوت عنك فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدي له الثواب)[١] أهـ.



(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ١ / ١١٦ – ١١٧.
(٢) تلبيس إبليس ١ / ٣٣٤.

القصة الخامسة
قصة وضاح اليمن مع أم البنين

نشأ وضاح مع أم البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر أحدهما عن الآخر. فلما بلغت حجبت فازداد شوقها فحين أفضت الخلافة إلى الوليد بن عبدالملك حجبها فازداد بوضاح الأمر فخرج إلى الشام فكان يطوف بالقصر إلى أن ظفر بجارية لأم البنين فأخبرها بمكانه وأنه ابن عم مولاتها فأخبرتها فأدخلته في صندوق فكانت إذا أمنت تمكث معه وإذا خافت أدخلته الصندوق، وجيئ للوليد بجوهر نفيس فأمر خصيا يحمله إليه فحين دخل الخصي وجد وضاحا فأدخلته واستوهبها الخادم لؤلؤة فمضى وأخبر الوليد. فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق فأبت فراجعها فوهبته إياه واحتمله إلى مجلسه، فلما جاء الليل أمر غلمانه فحفروا إلى الماء ثم قال مشافها للصندوق خفية قد بلغنا عنك أمر فإن كان صحيحا فقد كافأناك وإلا فما علينا في دفن الخشب ورماه ورمى الخصي حيا، فكانت تأتي المكان فتبكي فوجدت ميتة)[١] أهـ المراد باختصار.

---

(١) تزيين الأسواق ١ / ٢٨٢ - ٢٨٤ .

الفصل الثامن
ذكر من قتلت والديها بسبب العشق

قد يعبد الناس شجرًا وحجرًا وقد يعبدون فأرًا أو عجلاً وأخطر ما يعبده البشر أهواءهم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان:٤٣]، بسبب الهوى كُذّبت الرسل، انتهكت الحرمات، وضُيّعت الفرائض وسُفكت الدماء وسُلبت الأموال. فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه جرت ببغداد كائنة غريبة وهي أن ابنة تاجر من تجار الطحين عشقت غلام أبيها فلما علم أبوها بامرها طرد الغلام من داره فواعدت البنت ذلك الغلام ذات ليلة ان يأتيها فجاء إليها مختفيا فتركته في بعض الدار. إلى هنا القصة ليس فيها غرابة، والأمر الغريب هو ما حدث بعد ذلك فبعد أن هدأت الدار، ونام أهلها أمرت البنت ذلك الغلام أن ينزل إلى أبيها فيقتله ثم أمرته بقتل أمها وهي حبلى ثم أعطت تلك المجرمة ذلك المجرم الذي فتنت به حليا بقيمة ألفي دينار وقد نالت يد العدالة ذلك المجرم فقتل وكذلك جزاء من قتل. ويذكر ابن كثير أن ذلك الرجل والد البنت كان رجلا صالحا من خيار الناس وأكثرهم صدقة وبرا وكان شابا وضيء الوجه .أهـ



---

(١) عجائب القصص، ص ١٢٥، منصور العراجي.

الفصل التاسع
ذكر من جن فمات بسبب العشق

قال بعض الحكماء: الجنون فنون والعشق فن من فنونه.

وقال قيس بن الملوح:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

قالوا وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه، قال الزبير بن بكار جاءت بدوية إلى أخت لها فقالت كيف بك من حب فلان قالت حرك والله حبه الساكن وسكن المتحرك ثم أنشأت تقول:

فلو أن ما بي بالحصى فلق الحصى ... وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو أنني أستغفر الله كلما ... ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

فقلت والله لأسألنه كيف هو من حبك فجاءته فسألته فقال إنما الهوى هوان ولكنه خولف باسمه وإنما يعرف ذلك من استبكته المعالم والطلول. وأنشد أبو الفضل الربعي:

قد أمطرت عيني دما فدماؤها ... بعد الدموع من الجفون هوامل
كيف العزاء ولا يزال من الضنى ... في الجسم مني والجوانح نازل
لهفي على زمن مضى تجتازني ... فيه صروف الدهر وهي عواقل

القصة الأولى
قصة عشق الشريف البياضي للجارية

عشق الشريف البياضي جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدًا عظيمًا وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض هو أيضا فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرا فما دون ثم لحق بها وله فيها أشعارا كثيرة)[١].

القصة الثانية
قصة غلام نظر إلى جارية فكانت النظرة سبب جنونه

قال بعض المشائخ كان عندهم بالطائف جارية عتيقة صالحة وكانت لها أم من خيار النساء لها فضل ودين وكانت لهم بضاعة مع رجل من أهل الطائف وكان يتجر بها ويعطيهم فضلها، قال فبعث الرجل إليهم ذات يوم ابنه في حاجة وكان غلاما جميلا فدخل والجارية جالسة لم تعلم بدخوله فنظر إليها وكانت ذات جمال فوقعت بقلبه فخرج من عندهم وما يدري أين يسلك وجعل الأمر يتزايد عليه حتى تغير عقله ونحل جسمه ولزم الوحدة والفكر وكتم حاله وجعل لا يقر له قرار، فلما رأى أهله ذلك حبسوه في بيت وأوثقوه فكان ربما أفلت فيجتمع عليه الصبيان فيقولون له مت عشقا مت عشقا...فلما علم أهله أنه عاشق جعلوا يسألون عن أمره فلا يخبرهم بقصته ولا يجيبهم فلما رأوا ذلك منه حبسوه في بيت وقيدوه...قال فلم يزل تلك حاله حتى الموت »[٢] أهـ باختصار.

(١) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، ١ / ٣٢٠ .
(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٢ / ٨٩.

القصة الثالثة
قصة مجنون زقاق الغفلة

حكى الوراق عن الصوفي قال حدثني صديق لي قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد إلى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ما ذا تريد فقال قرصين وفالوذج فأحضرتهما فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما ظنك تقدر عليه قلت اذكره فلعل الله أن يساعدني عليه فقال تمضي إلى زقاق الغفلة فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا أنحله فمضيت وفعلت ما قال فخرجت إلي عجوز فقالت قل له عليلكم من ذا أعله فرجعت إليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت إلى الباب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية(١).

القصة الرابعة
قصة مجنون دير هرقل

قال عبد الله بن عبد العزيز السامري: مررت بدير هرقل أنا وصديق لي، فقال لي: هل لك أن تدخل فترى من فيه من ملاح المجانين؟ قلت: ذاك إليك. فدخلنا فإذا بشاب حسن الوجه، مرجل الشعر، مكحول العين، أزج الحواجب، كأن شعر أجفانه قوادم النسور، وعليه طلاوة تعلوها حلاوة، مشدود بسلسلة إلى جدار، فلما بصر بنا قال: مرحباً بالوفد، قرب الله ما نأى منكما، بأبي أنتما. قلنا: وأنت، فأمتع الله الخاصة والعامة بقربك، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك، وجعلنا وسائر من يحبك فداءك. فقال: أحسن الله عن جميل القول جزاء كما، وتولى عني مكافأتكما. قلنا: وما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل؟ فقال:

(١) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، ١ / ٢٩٠ - ٢٩١.

اللهُ يعلمُ أنّني كَمِدُ، لا أستطيعُ أبثُّ ما أجِدُ
نفسانِ لي: نفسٌ تضمّنَها بلدٌ، وأُخرى حازَها بلدُ
أمّا المُقيمةُ ليس ينفعُها صبرٌ، وليس بقربِها جلَدُ
وأظنّ غائبتي كشاهدتي، بمكانِها تجدُ الذي أجِدُ

ثم التفت إلينا فقال: أحسنت؟ قلنا: نعم!، ثم ولينا فقال: بأبي أنتم ما أسرع مللكم، بالله أعيروني أفهامكم وأذهانكم. قلنا: هات! فقال:

لمّا أناخوا، قُبَيْل الصُّبْحِ، عيسَهُمُ، ورَحّلوها، فسارت بالهوى الإبلُ
وقَلّبَتْ، من خلال السِّجف، ناظرَها، ترنو إليّ ودَمعُ العين مُنْهمِلُ
فودّعَتْ ببنانٍ عَقدُها عَنَمٌ، ناديتُ لا حَمَلَتْ رِجلاكَ يا جَمَلُ
ويلي من البَينِ! ماذا حلّ بي وبها؟ يا نازحَ الدّارِ حلّ البينُ وارْتحلوا
يا راحلَ العيسِ عرّجْ كي أُودّعَها، يا راحلَ العيس في ترْحالكَ الأجَلُ
إنّي على العَهدِ لم أنقض مودّتكم، فليتَ شعري، وطالَ العهدُ، ما فعلوا؟

فقلنا، ولم نعلم **بحقيقة ما وصف، مجوناً منا**: ماتوا! فقال: أقسمت عليكم! ماتوا؟ فقلنا، لننظر ما يصنع: نعم! ماتوا. قال: إني والله ميت في أثرهم، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبةً دلع منها لسانه، وندرت لها عيناه، وانبعثت شفتاه بالدماء، فتلبط ساعة، ثم مات. فلا أنسى ندامتنا على ما صنعنا. أهـ

قالت ليلى العامرية في قيسها:

لم يكن المجنون في حالة إلا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى وإنني قد ذبت كتمانا



القصة الخامسة
قصة الجارية الظريفة

قالوا وإذا اقتحم العبد بحر العشق ولعبت به أمواجه فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة كما ذكر الخرائطي أنه كان بالمدينة جارية ظريفة فهويت رجلا من قريش وكان لا يفارقها ولا تفارقه فملها وزاد حبها له فسقمت وجعل مولاها لا يعبأ بشكواها ولا يرق لها حتى هامت على وجهها ومزقت ثيابها وأفضت إلى أمر عظيم فلما رأى ما صرت إليه عالجها فلم ينفع فيها العلاج وكانت تدور في السكك بالليل وتقول:

الحب أول ما يكون لجاجة ... تأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار
من ذا يطيق كما نطيق من الهوى ... غلب العزاء وباحت الأسرار[1]

القصة السادسة
قصة فورك المجنون

قال بعضهم: مررت بفورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيبٍ، يقال له عبد العزيز، ليعالجه. فسلّمت وقلت: ما خبرك يا أبا محمّد؟ فقال: خبري والله مع هؤلاء المجانين ظريفٌ. أنا عاشقٌ وهم يظنّون بي جنّة وقد أتوني بهذا الطّبيب ليعالجني. ثمّ أنشأ يقول:

أتوني بالطّبيب فعالجوني ... على أن قيل مجنونٌ غريب
طبيب الأجر فيه عساه يوماً ... من الأيّام يعقل أو يتوب
وما صدقوا الفتى محوي قلبي ... أجلّ من أن يعالجه الطّبيب
وما بي جنّةٌ لكنّ قلبي ... به داءٌ تموت به القلوب
وما عبد العزيز طبيب قلبي ... ولكنّ الطبيب هو الحبيب[2] أهـ

---

(١) روضة المحبين.

(٢) أخبار النساء.

القصة السابعة
قصة رجل جن بسبب عشقه غلام

قال بعضهم مررت بمجنونٍ بيده قصبةٌ وفيها عذبةٌ، وهو يقول:

إذا مـا رايةٌ رفـعت بـنجـدٍ ... تلقّـاها عـرابة باليـمين

قال فأخذت بيد الغلام الذي كان يتعشّقه فوقفت بين يديه، فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال في ساعةٍ بديهةٍ:

أصبحت منك على شفا جرفٍ ... متعرّضاً لموارد التّلف
وأراك نحوي غير ما ثقةٍ ... متحرّفاً من غير منحرف
يا من أطال بصدّه أسفي ... كلفي عليك أشدّ من أسفي[1] أهـ

القصة الثامنة
قصة رجل صار لعبة للأطفال بسبب العشق

قال الحسن بن رفاعة: رأيت علويّة المجنون يوماً وفي عنقه حبلٌ والصّبيان يجرّونه، فلمّا رآني قال: يا أبا عليٍّ بماذا يعذّب الله أهل الجرائم يوم القيامة؟ قلت: بأشدّ العذاب. قال: فأنا، والله، في أشدّ من عذابه. لو عذّب الله أهل جهنّم بالحبّ والهجر والرّقباء لكان أشدّ عليهم، ثمّ قال:

انظر إلى ما صنع الحبّ ... لم يبق لي جسمٌ ولا قلب
أنحل جسمي حبّ من لم يزل ... من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حبّ من ... من دونه الأستار والحجب

قال: وحضرته وقد أتوه بطبيبٍ يعالجه، والطّبيب يعاتبه ويقول له: لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ، فقال في ذلك:

---

(١) المصدر السابق.

أنا منك أعلم أيهـــا المتكلّـــم ... مـــا بي أجلّ من الجنون وأعظم
أنا عاشقٌ، فإن استطعت لعاشقٍ ... برأً مننت به وأنت مـــحكّم
هيهات، أنت لغير ما بي عالمٌ ... وســـواك، بالدّاء الذي بي أعلم
دائي دسيسٌ، قد تضمّنه الـ ... هوى، تحت الجوانح ناره تتضرّم[1] أهـ

قال ابن المعتز:

الحب داء عـــضـــال لا دواء له ... يحـــار فيـــه الأطباء النحـــارير
قد كنت أحسب أن العاشقين غلوا ... في وصفه فإذا بالقوم تقصير

---

(١) المصدر السابق.



الفصل العاشر
ذكـــر فضائح العشـــاق

الفضيحة الأولى
فضيحة القاضيين مع سوسن

لما كان في السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل إلى أورشليم – يعني بيت المقدس بالعربية – وأسلمها الرب في يده ثم نزلت ببيت صنمه بشنعار (وهو موضع مشهور ببيت المقدس)...حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني إسرائل فكانا يحكمان في الشعب ويأويان إلى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت في أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لأن والديها كانا صديقين في بني إسرائيل. وكانت في كل يوم تنزل إلى بستانها تمشي للنزهة. ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر في الحكومات. وكتم كل عن الآخر حتى إذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا ليستريح. وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا فحص كل مَن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وإنها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الاستحمام وقد استخفيا فأرسلت الجاريتين ليأتياها بزيت وغسول فظهرا وأغلقا الأبواب وقالا لها لئن لم تجيبينا وإلا قلنا إنا وجدنا معك شابا ومن أجل ذلك أرسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بني إسرائيل.

قالت سوسن والله لا أغضب الرب أبداً، وصرخت فصرخ القاضيان ومضى

أحدهما ففتح الباب وجاء العبيد فأخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لأنهم لا يعلمون عليها سوءًا.

ثم أتى يواكيم فأعلموه بالأمر وأنهما لم يقدرا على إمساك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان وكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما وأغلقت الأبواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها إلى السماء وقالت يا الله يا دائم(١) يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما كذبا علي.

ثم أقاماها للقتل، وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشر سنة فجاء وصاح عليهم أن قفوا فإنها بريئة مما رميت به، ثم أمرها بالتفريق بينهما – أي بين القاضيين – فقال لأحدهما من تحت أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب، ثم أخره وقدم الآخر وقال له من تحت أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فنشرا ونزلت نار فأحرقتهما وحفظ الله الدم الذكي، وعظم أمر دانيال عليه السلام)(٢).أهـ

الفضيحة الثانية
فضيحة راهب من بني إسرائيل مع جارية

فعن عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي ﷺ: (كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى في قلوبهم أنه

(١) الدائم ليس اسماً من أسماء الله.

(٢) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ٢/ ٨-٩.

أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها فقال ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان فقال أنا الذي ضربتها وخنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني تنج أسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال عز وجل: **﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾** [الحشر:١٦](١).

الفضيحة الثالثة
فضل قطع يده على الفضيحة

كان لعمرو بن دويرة السمحي أخ قد كلف بابنة عم له كلفًا شديدًا وكان أبوها يكره ذلك ويأباه فشكى إلى خالد بن عبد الله القسري وهو أمير العراق أنه يسيء جواره فحبسه فسأل خالد في أمر الفتى فأطلقه، فلبث الفتى مدة كافا عن ابنة عمه ثم زاد ما في قلبه وغلب عليه الحب فحمل نفسه على أن تسور الجدار إليها وحصل الفتى معها.

فأحس به أبوها فقبض عليه وأتى به خالد بن عبد الله القسري وادعى عليه السرق وأتاه بجماعة يشهدون أنهم وجدوه في منزله ليلا وقد دخل دخول السراق فسأل خالد فاعترف بأنه دخل يسرق ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه مع أنه لم يسرق شيئا. فأراد خالد أن يقطعه فرفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها: ...إلخ

أخالد قد والله أوطئت عشوة	**وما العاشق المظلوم فينا بسارق**
أقر بها لم يقترفه لأنه	**رأى القطع خير من فضيحة عاشق**

وأرسل خالد مولى له يسأل عن الخبر ويتجسس عن جلية الأمر فأتاه بتصحيح

(١) تلبيس إبليس.

ما قاله عمرو في شعره. فأحضر الجارية وأمر بتزويجها من الفتى فكان يسمى العاشق إلى أن مات[١] أهـ باختصار.

الفضيحة الرابعة
فضيحة عابد من بني إسرائيل

روي عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن عابداً كان في بني إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها قال فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل - وكان ثقة في أنفسهم - فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم، قال فلم يزالوا به حتى أطاعهم، فقال أنزلوها في بيت حذاء صومعتي، قال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانًا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام، قال فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك، قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زمانًا، ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والآجر وحضه عليه، وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك، قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه في بيتها، فلبث على ذلك زمانًا ثم

---
(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٢ / ٤٧ - ٤٨.

جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، فقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، قال: فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زماناً يتحدثان ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل به حتى فعل، قال: فلبثا زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال: له لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حيناً، ثم جاءه إبليس فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها فلم يزل به إبليس يحسنها في عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاما، فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، قال خذها واذبحها وادفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو فجاءوا فسألوه عنها فنعى لهم وترحم عليها وبكاها، وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا

إلى أهاليهم فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر فبدأ أكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان وقال لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاها في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعا، وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً، فأخبر بعضهم بعضا بما رأى فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فأمضوا بنا ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه، قال: فانطلقوا جميعًا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة، كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد، فصدق قول إبليس فيما صنع بهما فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه قال فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه[1] أهـ.

---

(١) تلبيس إبليس.

الفصل الحادي عشر
ذكر قصص فضائح ومآسي طالبات الجامعة

لقد غرق بعض الشباب والشابات في أوحال المعاصي والفواحش والجرائم في المدارس والجامعات بسبب ترك التعاليم الإسلامية والرضا بالتعاليم الغربية من ذلك خروج الفتاة من بيتها بدون محرم واختلاط الذكور بالإناث وكأنهم حيوانات مختلطة في حديقة أو في غابة واحدة وقد نسب إلى المأمون أنه قال:

أَوَّلُ الْعِشْقِ مِزَاحٌ وَوَلَعْ ... ثُمَّ يَزْدَادُ إِذَا زَادَ الطَّمَعْ
كُلُّ مَنْ يَهْوَى وَإِنْ غَالَتْ بِهِ ... رُتْبَةُ الْمُلْكِ لِمَنْ يَهْوَى تَبَعْ

وقد زادت نسبة العشاق من الطلاب والطالبات في الآونة الأخيرة بسبب تعليم الرجال البنات والنساء الشباب وتدريسهم الثقافة الجنسية ومحادثة البنات مع المدرسين والزملاء والخلوة بهن والسير معهن وهذا من أعظم أسباب الانحراف، فإذا سلمت البنت من بعض الأسباب ما سلمت من البقية، وإذا تحركت الغريزة ووقع العشق والغرام بين الجنسين الذكر والأنثى ضاع الشرف والعفاف والكرامة وصدق من قال:

تفنى اللذاذات ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الخزي والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخلوة بمن ليس بمحرم: فقال النبي ﷺ: «**لا يخلو رجل بامرأة إلا مع ذي محرم...** »[1]. وقال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[2].

---

(١) رواه البخاري [٥٢٣٣]، ومسلم [١٣٤١].
(٢) رواه الترمذي [٤/ ٤٠٤]، وأحمد [١/ ١٧٦] وغيرهما وهو في صحيح الجامع برقم [٢٥٤٦].

قال الحافظ العامري: فعم رسول الله ﷺ بالتحريم والنهي جميع الرجال والنساء، ولم يختص عاما منهم من خاص ولا زاهد دون راغب، فمن تجاهل فغير وضع الشرع بدعواه، وأعرض عن حكمته ما يتمناه، ولم يسلم له ذلك في نفسه فضلا عن مرآه، فيرد في نحره ما ابتدعه لقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١)(٢). اهـ.

القصة الأولى
قصة طالبة الكلية رباب

بعد التعارف ومقدماته بين (عادل) وعشيقته (رباب) حصل (عادل) على موعد من (رباب) أن يلتقي بها عند الكلية وصل (عادل) إلى جوار الكلية حيث الموعد المضروب بينه وبين عشيقته، وجاءت (رباب) نحو سيارة (عادل) وهي تحمل ابتسامتها العريضة التي تسبق عطرها الفواح حاملة بيدها وردة حمراء ففتحت باب السيارة وركبت بجانب عشيقها بكل جراءة وأثناء السير في الطريق باتجاه شقة مفروشة مستأجرة كان (عادل) يلقي عليها كلمات الغزل وهي تشكره على إخلاص حبه الشريف لها ثم عبرت له عن شعورها نحوه واستمر الكلام المعسول بينهما حتى وصلا الشقة والحب والصبابة يتدفقان بين قلبيهما، فلم تكن (رباب) درة مصونة ترتوي من معين الإيمان الصافي، بل كان جمالها شؤما عليها استمر العشيقان يتناجيان الحب حتى تمكن الخبيث من قطف ثمرة الحرام الذي يترفع عنه كل محتشم، ثم قال سأخرج لغرض هام وسأعود سريعًا فأمسكت (رباب) بيده وقالت له إياك أن تتأخر عني فأنا أريد أن أرجع إلى الكلية قبل موعد مجيء والدي في الظهيرة فطمأنها وانطلق بسيارته وبسرعة فائقة وأعصاب منهارة وبينما هو يسير إذ

(١) رواه البخاري [٢٦٩٧]، ومسلم [١٧١٨] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أحكام النظر، ص ٥٠.

فاجأه ممر ضيق ومنعطف خطير أمر بإيداع (عادل) السجن، ومر بعض الوقت ورباب منتظرة في قلق ليس لديها مفتاح للشقة لتخرج، وصارت تدور في الغرفة وتدور وتحاول فتح الباب، لكن دون جدوى، فما حيلتها إلا البكاء على نفسها وعض أصابع الندم خوفًا من الفضيحة، اقتربت من النافذة تريد تستنشق هواء يزيل عنها الاختناق، فصدرها يكاد ينفجر من شدة الضيق، وفجأة دخلت عليها من النافذة حشرة كبيرة غريبة تطير وتتخبط في أرجاء الغرفة، فارتجفت (رباب) واستولى عليها الفزع وشلت حركتها، فلم تستطيع أن تتمكن من التنفس بسهولة ولا تصرخ لتستغيث حتى يأتي من ينقذها، ثم عادت تفكر في مصيرها وفي السر الكامن وراء تخلف عشيقها (عادل) عن الحضور، فلم تجد حلا سوى أن تدفن وجهها في كفيها وتبكي بكاء مراً فارتفع نشيج بكائها وتردداد أنفاسها المتسارعة.

أما عشيقها فقد ظل مطروحا خلف قضبان السجن يكاد أن يختنق مما حل به من الضيق وهو يفكر في عاقبة فعلته، وفي نفس الوقت يتألم من جراحات الحادث لكنها لا تصرفه عن ألمه الحقيقي،، فالدماء الساخنة تغلي في رأسه لا يدري ما يفعل حتى تخرج الساقطة (رباب) من الشقة ويسلم من الفضيحة والعار والعقاب.

تذكر صديقه حامد فاتصل به وقص عليه القصة باختصار وطلب منه أن يذهب إلى الشقة لإخراج (رباب) منها ويوصلها إلى الكلية قبل أن يعرف والدها الخطة المرسومة فانطلق حامد فرحاً مسروراً وهو يحلم أن يحظى ويظفر بهذه الصفقة الرابحة ليشبع غريزة الشباب المتوقدة فهي فرصته التي طالما تمناها، وحمل معه خنجراً للتهديد وحين وصل إلى الشقة قرع الباب قرعات خفيفة ثم فتح الباب فرأت (رباب) من خلف دموعها شقيقها الأكبر حامد ماثلاً أمامها، فزاغ بصرها، وانعقد لسانها من شدة الخوف والفجيعة، أما بالنسبة لأخيها حامد فقد اندلعت نار الغيرة من عينيه، وطار عقله وتغيرت صورته، وقال لها ماذا فعلت أيتها البغي الفاجرة بشرفنا وكرامتنا؟، فأخذت (رباب) ترتجف والخجل يصبغ وجهها وحامد ينظر إليها

بنظرات جنونية مخيفة ثم جذبها من شعرها الأسود ودفعها بقوة حتى أسقطها على الأرض فقامت وتعلقت بأهداب ثوب شقيقها تعتذر له وجثت عند قدميه ضارعة متوسلة والدموع تبلل خديها تخاطبه بصوت ضعيف مختنق من البكاء الرحمة والمغفرة يا حامد وإني أعاهدك بأني لن أعود لمثل هذا أبداً ما حييت.

فرد عليها والدماء محتقنة في وجهه الآن وبعد فوات الأوان إن موتك خير لنا من بقائك ورفع حامد السكين وهوى بها على صدر أخته وكأنه يريد أن يتخلص من أفعى مؤذية وطعنها طعنة نجلاء في صميم صدرها فصاحت صيحة مدهشة ثم أتبعها طعنات متتالية ليقتلها ويقتل حبًا دنيئًا دنسًا تربع على قلبها وسقطت (رباب) جثة هامدة. (انتهت القصة باختصار وتصرف)[١].

القصة الثانية
قصة طالبة الجامعة مع السائق

صاحبة القصة لم تتمالك نفسها أجهشت بالبكاء وأخرجت ما كان يعترك داخل نفسها من هموم وأحزان على صفحات الأوراق الكبيرة وبعثت بها لأحد الشيوخ تسأله. كتبت تلك الفتاة... وكتبت وفي طيات ما كتبته قالت: ولا أخفيكم فضيلة الشيخ عن حالي فأنا طالبة جامعية وكان يوصلني أحد السائقين فاستدرجني حتى وقعت في الفاحشة!! لم أصدق ما وقع لكن هذا ما حدث لقد كنت أشعر بعدها بعظيم ما ارتكبت، لمت نفسي على ما حصل كثيراً. فكرت في البحث عن حل لحالي الذي صرت إليه وقد كنت أتواصل مع ذلك السائق واتفقنا في آخر المطاف على أن يتزوجني سراً وبدون حضور ولي عني لأني أعرف أن والدي لو علم بحال ذلك السائق وفقره لما وافق على زواجه بي ومن جهة أخرى لأننا نعد من عائلة راقية وغنية.

(١) مأساة جمانة

والسؤال الذي أطرحه عليكم الآن هو: هل يجوز لي أن أتزوج به خفية عن والدي وبدون حضور ولي أم لا؟!!

فأجاب الشيخ قائلا: لا يجوز الزواج إلا بحضور ولي عن الأنثى وإلا فهذا سفاح وزنا وليس بزواج شرعي!!! وأنتهت القصة وبقيت العبرة)[١] اهـ.

قلت: فأين هذه الجامعية من قول الله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومن قول رسول الله ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[٢].

وأين أهل هذه الطالبة وأمثالها من قول سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ: «**فقال تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[٣].

لقد ترك أغلب أولياء الطالبات الحبل على الغارب وسمحوا لهن أن يقفزن من سيارة إلى سيارة حتى يصلن إلى الجامعة ويختلطن بالشباب والشابات الفاسدات ثم يرجعن إلى بيوتهن دون محارم وسمحوا لهن أن يحملن معهن الهاتف فيتصلن بمن شئن ويراسلن من شئن.

ثم بعد ذلك ندموا حين لا ينفع الندم، ضحوا بالشرف من أجل الحصول على الشهادة، من أجل الوظيفة، من أجل المال ولو كان الثمن هو العرض والكرامة !!.

---

(١) حتى لا تخدعي يا طالبة الجامعة، ص ٤٣ - ٤٤.
(٢) رواه الترمذي وهو في الصحيحة [٢٦٨٨].
(٣) رواه البخاري [٦٩٨٠].



الفصل الثاني عشر
ذكر من مات أثناء الزنـــا

القصة
موت عاشق ومعشوقته وقت الفاحشة

ذكر صاحب كتاب الأعمال بالخواتيم [ص ٢٣٧-٢٣٨] قصة يرويها له بعض الثقات عنده وهي: أن أحد أصدقائه في العمل كان يكثر البكاء ولا يرى لبكائه سببا فلما سأله عن سبب بكائه قال لقد كان لي صاحب سيء صحبني إلى الشر معه إذ كانت له صديقة يواعدها ويخرج بها ويقضي معها بعض الوقت ثم يعيدها إلى أهلها، ولعل ذلك في وقت الدراسة حتى لا تنكشف وفي يوم من الأيام اتفقت معه أن يأتي بها في مكان من الأمكنة لا يلفت النظر فأخذها على حسب الموعد الشيطاني وعند ركوبها رآها صبي صغير فهددته ألا يخبر عنها ومضت مع قرينها وكنت – أي المتحدث شاهد القصة – أنتظرهما لأشاركهما في جريمتهما ولكنهما عدلا في سيرهما حتى وصلا إلى قبو تحت عمارة لم يكتمل إصلاحها وجعلا مؤخر السيارة إلى مدخل القبو ولم يطفئ السيارة فدخل غازها في القبو وهما فيه حتى أغمي على المرأة وماتت في الحال، وأصيب الرجل بدوران في رأسه وصداع شديد يصرعه حينًا ويقوم حينًا حتى وصل إلى مؤخرة السيارة فسقط من قامته وأغمي عليه ثم مات، وشاع خبرهما في أوساط الناس وحضر رجال الأمن فوجدهما قد فارقا الحياة على غضب الله وسخطه.

وعاش هذا الشاب الناقل لهذه القصة في تفكير عميق أذهله عن كل شيء،

وأحزنه عن كل فرح وأشغله عن كل ضيعة، وأخذ يراجع حساب نفسه ويقول كيف أوافق النفوس الشريرة، وكيف أهوي في أحضان الرذيلة، وكيف أطاوع الهوى والشيطان) اهـ المراد بتصرف يسير.



الفصل الثالث عشر
ذكر قصص من حمله هواه
على أذية من يهواه

القصة الأولى
قصة عمرو بن قميئة وزوجة مرثد

حكي عن مرثد أنه شغف بصحبة عمرو بن قميئة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فأرسلت إليه في غفلة من مرثد تقول إن عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت إليه فراودته عن نفسه فأبى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك.

فقال إن الأذى أن أفعل ما تحبين وخرج، فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الأصابع فلما جاء مرثد أخبرته أن رجلا من أقرب ما يكون إليك ساومني نفسي فامتنعت. فجهد في أن تخبره فأبت وقالت أنا لا أصرح باسمه ولكن هذه قدمه فعرفه وحلف ليضربنه بالسيف فهرب إلى الحيرة وأرسل بهذين البيتين:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري … فـمـا بال من يرمى وليس برام
فلو أنها نبل إذا لاتقيتها … ولكنما أرمى بغير سهام

وقيل إن مرثداً أتى يوما من سفره في الليل وكان الظلام شديداً فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول:

لعمرك إن القلب شط به النوى … ولم تسعف الأيام للمدنف الصب

(١) تزيين الأسواق، ٢ / ٦-٧.

بليت بمـن لـم يدر حـالي بحـبـه ألا إن عـمـرا في الهوى قاسي القلب

فعلم أنها مولعة به وأن ذلك كان كيداً منها. فقتلها وأرسل إليه فأصلح أمره معه[1]. أهـ



الفصل الرابع عشر
ذكر من عشق زوجة أخيه

القصة الأولى
قصة رجل عشق زوجة أخيه فقتله

لقد اشتهرت قصة امرأة كانت تظهر أمام حميها وهي ذات جمال فافتتن بها ولم يدر كيف يصنع وهي زوجة أخيه فإن زنى بها عار وعيب وإن تركها لم يصبر عنها فلجأ إلى جريمة أعظم وهي أنه قتل أخاه ثم تزوجها)[١] اهـ

إن في مخالفات الشريعة كل شر وبلاء فقد كان السبب الأول لهذه الجريمة القتيل ثم القاتل ثم أهل المعشوقة.

فكان الواجب على الجميع أن يمنعوا اختلاط القاتل بزوجة المقتول والنظر إليها والاختلاء بها لما في ذلك من الخطر ففي صحيح البخاري من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» **فقال رجل من الأنصار يا رسول الله فرأيت الحمو؟ قال**: «**الحمو الموت**»[٢]. وعن بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**» فقام رجل فقال يا رسول الله امرأتي خرجت حاجة واكتتبت في غزوة كذا وكذا قال «**ارجع فحج مع امرأتك**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**»[٤].

وقال الشاعر:

---

(١) القصص المية ما بين مضحكة ومبكية، ص ١٤١ بتصرف يسير.

(٢) رواه البخاري [٤٩٣٤]. (٣) رواه البخاري [٤٩٣٥].

(٤) رواه الترمذي [٤/ ٤٠٤]، وأحمد [١/ ١٧٦] وغيرهما.

يا عـاقـلاً أردى الهـوى عـقله ... مـالك قـد سـدت عليك الأمـور
أتجـعل العـقل أسـير الهـوى ... وإن مـا العـقل عليـهـا أمـير

وقال الله تعالى في ذم الخونة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فيا ويل من يهتكون أعراض أقاربهم وجيرانهم فهل تذكر هؤلاء قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ١٨-٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ إلى قوله ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٦].

القصة الثانية
قصة رجل عشق زوجة أخيه فمات

رويت حكاية مشهورة وهي أن رجلا استخلف أخاه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما أن دخل وزوجة أخيه سافرة فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان ما لقيه من رؤية معصميها أضعاف ما لقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب في قلبه فأقام أياما يكابد العناء حتى لزم الوساد.

وجاء أخوه فأبصره وقد ذوت أعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرافاً[١] ولا طبيبا حتى دعاه له فلم ينجح فوصف له الحارث بن كلدة – وكان أحذق أهل زمانه – فلمارآه قال ليس به إلا العشق فقالوا وما السبيل إلى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر[٢] فعساه أن يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له – أي قالوا للطبيب – قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرح بريا زوجة أخيه فقال أخوه أشهدكم أنها طالق ثلاثا لأني أعتاض عنها ولا أعتاض عن أخي فبشره فقال أخوه هي علي كأمي إن تزوجتها ومات بعد قليل.

وقيل خرج هائما ولا يدر أين مات وإن أخاه حين فقده مات أسفا)[٣] أهـ



(١) قال ﷺ: **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»** رواه مسلم [٢٢٣٠]. وفي رواية لأحمد [٤ / ٦٨] « .... أربعين يومًا ».

(٢) قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ١١٩]. وقال ﷺ: **«ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلي جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»** ٩١ الصحيحة.

(٣) تزيين الأسواق ١ / ٢٥٠ – ٢٥١.



الفصل الخامس عشر
ذكر رحلات في سبيل الشيطان

الرحلة الأولى
رحل الشباب بالفرح وعادوا بالحزن

ها هم أربعة من الشباب كانوا يعملون في دائرة واحدة مضت عليهم سنين وهم يجمعون رواتبهم فإذا سمعوا ببلد يفعل فيه الفجور طاروا إليها، وبينما هم في ذات يوم جالسين إذ سمعوا ببلاد لم يذهبوا إليها، وعقدوا العزم أن يجمعوا رواتبهم هذه المرة ليسافروا إلى تلك البلاد التي حددوها وقت الرحلة، وركبوا طيارتهم ومضوا إلى ما يريدون، ومر عليهم أسبوع في تلك البلاد وهم بين زنا وخمور وفعال لا ترضي الرحمن، بينما هم في ليلة من الليالي وفي ساعة متأخرة من الليل يجاهرون الله تعالى بالمعصية والفجور، نعم بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشيا عليه فيهرع إليه أصحابه الثلاثة فيقول له أحدهم في تلك الليلة الحمراء يا أخي قل لا إله إلا الله فيردد الشاب عياذاً بالله إليك عني، زدني كأس الخمر وتعالي يا فلانة ثم فاضت روحه إلى الله وهو على تلك الحالة السيئة نسأل الله السلامة والعافية ثم كان حال الثلاثة الآخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه أمره أنهم أخذوا يبكون وخرجوا من المرقص تائبين وجهزوا صاحبهم وعادوا به إلى بلاده محمولاً في تابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته فلما نظروا

---

(١) ١٠٠ قصة من نهاية الظالمين، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(٢) رواه أبو داود [٦٨٧] وأحمد [٥ / ٢٣٣] والحاكم [١ / ٣٥١] و [٥٠٠] والبيهقي في « شعب الإيمان » [٩٢٣٤] وقال الحاكم إسناده صحيح ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٦٨٧ .

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٩٨٥ .

إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد عياذاً بالله(١) اهـ . لقد مات هذا الشاب ولم يوفق للنطق بالشهادة عند الموت بل لقد جمع بين فتنتين عظيمتين فتنة حب النساء وفتنة شرب الخمر، ألا وإن من علامات حسن الخاتمة النطق بالشهادة عند الموت لقوله ﷺ : «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٢) وقال ﷺ : «**من قال : لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة**»(٣) .

وقد تقدم الكلام عن خوف النبي ﷺ على أمته وتحذيرهم من فتنة النساء وإليك بعض أدلة ذم الخمر وشاربه "قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة : ٩٠-٩١] . وعن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال : «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»(١) . قال بن شهاب فأخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن أن أبا بكر كان يحدثهم هؤلاء عن أبي هريرة ثم يقول وكان أبو هريرة يلحق معهن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) . وقال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر**»(٢) .

وقال ﷺ : «**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**»(٣) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة عاق ولا مكذب بقدر ولا مدمن خمر**»(٤)، وقال ﷺ : «**كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكراً بخست صلاته أربعين صباحًا فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد**

(١) رواه مسلم [٥٧]، والبخاري [٢٣٤٣] .
(٢) رواه أحمد [١ / ٢٠] وغيره وصححه الألباني في إرواء الغليل [١٩٤٩] .
(٣) رواه أبو داود [٢٣٨٥] وصححه الألباني .
(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة [١ / ٣١٨] وغيره .

الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار ومن سقاه صغيراً لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال»(١)، وقال ﷺ: **«اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر»**(٢).

وقال الشاعر:

ألا إن شرب الخمر ذنب معظم — يزيل صفات الآدمي المسدد
ويلحق بالأنعام بل هو دونها — يخلط في أفعاله غير مهتد
يزيل الحيا عنه ويذهب بالغنى — ويوقع في الفحشا وقتل التعمد
فكل صفات الذم فيها تجمعت — لذا سميت أم الفجور فأسند

والذي ينبغي لأهل العلم والصلاح أن لا يصلوا على أهل الفسق مثل الزناة ومدمني الخمر .. عقوبة لهم وتأديباً لأمثالهم فقد كان رسول الله ﷺ إذا دعي لجنازة سأل عنها فإن أثني عليها خير قام فصلى عليها وإن أثني عليها غير ذلك قال لأهلها شأنكم بها ولم يصلِّ عليها)(٣).

الرحلة الثانية
رحلة الضياع

قال بعض الشباب وهو يحكي قضية انحرافه مع صديق السوء: وفي يوم من الأيام أشار علي أحد الأصدقاء بأن نسافر إلى (بانكوك) وقد عرض علي تذكرة مجانية وإقامة مجانية أيضًا – وهذه من أساليب شياطين الإنس إذا أرادوا اصطياد الشباب وإيقاعهم في مهاوي الردى وأحضان الرذيلة – يقول الشاب ففرحت بهذا العرض وربطت حقائبي وغادرنا بلد الإسلام إلى بلد الكفر، وفي ليلة حمراء

(١) رواه أبو داود [٣٦٨٠] وهو في (الصحيحة ٢٠٣٩).
(٢) رواه أحمد والحاكم [٤/ ١٤٥] وصحيح إسناده ووافقه الذهبي وهو في الصحيحة [٢٧٩٨].
(٣) رواه أحمد وهو في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢٥.

اجتمعت أنا وصديقي في أحد الأماكن الموبوءة بالفجور، وفقدنا في تلك الليلة عقولنا حتى خرجنا ونحن نترنح وفي طريقنا إلى الفندق الذي نسكن فيه أصيب صديقي بحالة إعياء شديدة، ولم أكن في حالة عقلية تسمح لي بمساعدته، لكني كنت أغالب نفسي، فأوقفت سيارة أجرة حملتنا إلى الفندق وفي الفندق استدعي الطبيب على عجل وأثناءها كان صديقي يتقيأ دما فأفقت من حالتي الرثة، وجاء الطبيب ونقل صديقي إلى المستشفى وبعد ثلاثة أيام من العلاج عدنا إلى أهلينا وحالة صديقي تزداد سوءاً، وبعد يوم من وصولنا نقل إلى المستشفى ولم يبق على دخول رمضان غير أربعة أيام، وذات مساء ذهبت لزيارة صديقي في المستشفى وقبل أن أصل إلى غرفته لاحظت حركة غريبة والقسم الذي يوجد فيه صديقي مقلوب على رأسه وقفت على الباب فإذا بصراخ وعويل عندها تأكدت من موت صديقي فبكيت وخرجت من المستشفى وأنا أتخيل أني ذلك الإنسان الذي ضاعت حياته وختمت بخاتمة سيئة، وشهقت من البكاء وأنا أتوب إلى الله وعزمت على التوبة النصوح وحمدت الله الذي أمهلني وجعل غيري عبرة لي ولم يجعلني عبرة لغيري)[1] اهـ المراد بتصرف يسير.

الرحلة الثالثة
قصة حاملة الإيدز

كثيرًا ما نقرأ ونسمع أن بعض الرجال ذئاب بشرية يخدعون الساذجات من النساء ولكن في هذه القصة سنقرأ أن الذئبة من النساء والضحية من الرجال. قال صاحب هذه القصة: «في أحد المحلات التجارية نظرت امرأة قد أدارت إلي بوجهها وأشارت إلي بيدها الفتانة المذهبة بالخواتيم والألماس كي أدخل خلفها، فلما دخلت

---

(١) إنما الأعمال بالخواتيم، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

طلبت مني رقم هاتفي فأعطيتها إياه، وفي آخر الليل هاتفتني وبدأنا بالكلام المتبادل وقالت إنها مطلقة وسيدة أعمال وتمتلك أموالاً كثيرة ثم حددنا موعداً للمقابلة وتقابلنا مراراً وتكراراً، وكانت لا تمكنني من لمسها أو من تقبيلها وفي ذات يوم هاتفتني وقالت لي أريدك في أمر مهم فقلت لها أنا تحت أمرك فقالت لي أريد أن أقابلك في المطعم الفلاني بعد ساعة فقابلتها في المطعم ودار الحديث بيننا فقلت لها ماذا تريدين أن أفعل فإذا بها تخرج من حقيبتها تذكرة سفر إلى القاهرة من الدرجة الأولى باسمي وكذا إقامة لمدة ثلاثة أيام في فندق (سمير اميس خمسة نجوم) وكذا أعطتني شيكًا مصدقًا باسمي بمبلغ وقدره عشرة آلاف ريال، وقالت لي أريدك أن تذهب إلى القاهرة بعد غد كما هو محجوز في التذكرة إلى ذلك الفندق إلى شخص يدعى فلان وهذا رقم هاتفه حتى يذهب بك إلى الشركة الفلانية وتوقع نيابة عني معه على كمية من الملابس والأزياء العالمية القادمة من باريس وهذه ورقة توكيل مني بذلك فأرجو منك الذهاب فلا تتأخر.

فأخذت إجازة من العمل بعد الشجار مع رئيسي في الشركة وسافرت في الموعد نفسه (ويا ليتني لم أسافر تلك السفرة) فبعد أن وصلت إلى هناك أخذت هاتفي الجوال وطلبت ذلك الرقم فأجابتني صاحبتي فقلت لها مندهشا فلانة فقالت نعم بشحمها ولحمها أنا آتية إليك لأشرح لك الأمر، ثم قالت لي تعال إلى الجناح رقم كذا فذهبت فوراً وأنا مبسوط فدخلت عليها الجناح في نفس الفندق وإذا هي تلبس الملابس الشفافة الخليعة الفاتنة فعانقتني..حتى زنيت بها عياذاً بالله فمددت إجازتي إلى عشرة أيام وبعدها عدنا إلى بلدنا على طائرة واحدة واستمرت علاقتي معها على هذا الحال لمدة سنة وفي ذات مرة كنت أنا وأخي في إحدى المدن فقدر الله علينا بحادث مروري فأصيب أخي بنزيف حاد وأنا لم أصب بأي أذى والحمد لله، وإنما كدمات خفيفة غير مؤلمة فتجمهر الناس علينا وأتى الهلال الأحمر وأسعفنا إلى إحدى المستشفيات القريبة من الحادث وأدخل أخي غرفة العمليات فورا وطلب مني

الطبيب أن أتبرع لأخي بدم فأخذني إلى غرفة التبرع وبعد فحص الدم أتى الطبيب ووجهه حزين فقلت له ماذا أصاب أخي يا دكتور قل لي أرجوك، فقال إن دمك ملوث بمرض الإيدز الخبيث، فكان كلامه علي كالصاعقة ليت الأرض انشقت وابتلعتني قبل أن يقول لي هذا الكلام، وإذا بي أسقط مغشيًا علي وبعد أن صحوت من هول الصدمة وجسدي يرتعش خوفًا ورهبة قال لي الطبيب أنت غير مصاب ولكنك حامل للمرض فقط وسوف يستمر معك إلى مدى الحياة. وبعد يومين من الحادث توفي أخي - رحمه الله - فحزنت عليه حزنًا شديدًا وبعد موت أخي بعشرة أيام هاتفتني صاحبتي تقول أين أنت يا حبيبي طالت المدة فقلت لها بغضب شديد ماذا تريدين مني فقالت ماذا حل بك فقلت مات أخي بحادث وأنا حزين عليه فقالت الحي أبقى من الميت ولم تقل: (رحمة الله عليه) لقسوة قلبها ثم أردفت قائلة عموما متى أراك فقلت لها لن أراك فقالت لماذا فقلت لها بصراحة أنا أحبك ولا أريد أن أضرك بشيء فقالت وما بك فقلت أنا حامل لمرض الإيدز فقالت كيف عرفت ذلك فقلت لها عندما أصبنا بالحادث أنا وأخي - رحمة الله عليه - وذكرت لها القصة كاملة فقالت لي هل أتيت فتاة غيري قلت لها لا وأنا صادق ثم قالت هل نقل إليك دم في حياتك فقلت لها لا أيضًا قالت إذن لقد تحقق مناي فقلت لها غاضبا ما قصدك يا فلانة فقالت: أريد أن أنتقم من جميع الشباب الذين كانوا سببًا في نقل المرض إلي وسيرون ذلك وأنت أولهم والبقية أمثالك في الطريق وبعدها بصقت في وجهي وأغلقت السماعة.

قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل عليك يا فتاة الإيدز وكلمات أخرى لا أريد أن أذكرها حتى لا أجرح مشاعركم فأنا اليوم أبلغ من العمر ٣٢ عاما ولم أتزوج بعد وأصبت بهذا المرض وأنا في الـ(٢٩) من عمري وكنت لحظتها مقدم على الزواج (الخطوبة) وإلى هذا اليوم ووالدتي وإخوتي يطلبونني بالزواج ولكنني أرفض ذلك لأنني حامل للمرض الخبيث وهم لا يدرون وأنا لا أريد أن أنقله إلى شريكة حياتي

وأطفالي علمًا بأنني أكبر إخوتي ووالدي – رحمه الله – كان يريد أن يفرح بي ولكنه توفي وأنا في (٢٩) من عمري، فأنا اليوم متعب بسبب هذا المرض الخبيث والذي لا أدري أين ومتى سيقضي على حياتي...[١]) انتهى باختصار وتصرف

الرحلة الرابعة
قصة حامل الزهري والسيلان

هذه القصة تحكي أن شابا ذهب إلى أحد البلاد الغربية السياحية واستأجر شقة مفروشة فأخذت فتيات الليل تأتي إليه فلم يستطع هذا الشاب أن يقاوم الإغراءات فجرفه التيار وانتهى به الأمر إلى الخروج من المعركة خاسرا حاملا جراثيم مرض الزهري والسيلان وبعد سنوات تزوج ولما لم تنجب زوجته أخذها إلى أحد الأطباء فطلب الطبيب تحليل السائل المنوي لديه وكانت النتيجة أن جميع الحيوانات المنوية ميتة لأن الأمراض قضت عليها وأصبح العلاج معه لا يجدي..فقال الطبيب هذا عقاب الله لك في الدنيا وإن لم تتب وتطلب العفو والغفران فعذاب الآخرة أشد[٢].أهـ

الرحلة الخامسة
قصة فتى يسجد لمعشوقته

فهذا فتى سافر إلى (بانكوك) وتعرف على فتاة بغي هناك وأصبح يعاشرها كما يعشر الرجل زوجته، يتلذذ بمنظرها ويستأنس بحديثها، لا يحتمل فراقها ولا يستغني عنها، وفي أحد الأيام تأخرت فاجرته عن القدوم إليه، فطار صوابه وعاش

---

(١) ضحايا الحب، ص ١٦٥ – ١٦٩ .

(٢) ضحايا الحب، ص ٣١٢-٣١٣ .

ساعات حرجة وأوقات صعبة حتى قدمت إليه فزال حزنه وانفرج همه واستقبلها استقبالا خططت له الشياطين طويلا ونجحت في نهايته، لقد عبر لها عن مقدار فرحته بقدومها بأن جعلها إلهاً له فخر لها ساجداً ولكن كانت السجدة الأخيرة»[١] أهـ .

قلت: صدق النبي ﷺ حين قال: «**حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**» [رواه البخاري ٦٤٨٧ ومسلم ٢٨٢٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في آخر رسالته حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة: (بل قد ينتهي النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

ولهذا لا يكون عشق الصور إلا متى ضعفت محبة الله وضعف الإيمان . والله تعالى إنما ذكره في القرآن عن امرأة العزيز المشركة، وعن قوم لوط المشركين . والعاشق المتيم يصير عبدا لمعشوقه، منقاداً إليه أسير القلب له . اهـ

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله – في إغاثة اللهفان [٢ / ١٢١–١٢٢]: (ومن مكايده ومصايده ما فتن به عشاق الصور وتلك – لعمر الله – الفتنة الكبرى والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلاقها وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد فصيرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكما وأميراً، فأوسعت القلوب محنة وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالي من غرف الجنان، فضلاً عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس الذي ألمها به أضعاف لذتها ونيله والوصول إليه

---

(١) من أخبار المنتكسين، ص ٢٦ – ٢٧ .

أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيبًا يستحيل عدوًا عن قريب، ويتبرأ منه محبة لو أمكنه حتى كأن لم يكن له بحبيب، وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، لا سيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوًا إلا المتقين، فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس وشهوة عاجلة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة وبقيت الشقوة، وزالت النشوة وبقيت الحسرة، فوارحمتاه لصب جمع له بين الحسرتين، حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم فهناك يعلم المخدوع أي بضاعة أضاع، وأن من كان مالك رقه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع، فأي مصيبة أعظم من مصيبة ملك أنزل عن سرير ملكه وجعل لمن لا يصلح أن يكون مملوكه أسيرًا، وجعل تحت أوامره ونواهيه مقهورًا، فلو رأيت قلبه وهو في يد محبوبه لرأيته.

كعصفورة في كف طفل يسومها ... حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت:

وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيًا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقًا إليهم ... ويبكي إن دنوا حذر الفراق

ولو شاهدت نومه وراحته لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا وتحالفا أن ليس يلتقيان، ولو شاهدت فيض مدامعه ولهيب النار في أحشائه لقلت:

سبحان رب العرش متقن صنعه ... ومؤلف الأضداد دون تعاند

قطر تولد عن لهيب في الحشا ... ماء ونار في محل واحد

ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغله فيه، لعلمت أن الحب ألطف مسلكًا فيه من الأرواح في أبدانها.

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب، ويوقع بينه

وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه ولا بد له منه أعظم الحجاب، فالمحب بمن أحبه قتيل، وهوله عبد خاضع ذليل إن دعاه لباه وإن قيل له ما تتمنى فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه فحقيق به أن لا يملك رقه إلا لأجل حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب)أهـ.



الفصل السادس عشر
ذكر قصص ضياع فتيات بسبب التصوير

القصة الأولى
قصة عاشقة والكاميرات الخفية

يحكى أن شابا تعرف على فتاة ووعدها بالزواج وبدأت تخرج معه في سيارته تتجول وتسمع منه كلمات معسولة ووعود بالزواج وآمال بالمستقبل. . .وفي يوم من الأيام أدخلها معه في شقة مفروشة ولم تدر الفتاة إلا وهي فريسة تحته. فندمت بعد أن دنست عفتها ودمرت حياتها. قالت الفتاة: (. .ولكن تعلقت بأمل راودني وهو وعده لي بالزواج، ومرت الأيام تجر بعضها البعض وكانت علي أثقل من الجبال ماذا حدث بعد ذلك؟؟ كانت المفاجئة التي دمرت حياتي دق جرس الهاتف وإذا بصوته يأتي من بعيد ويقول لي أريد أن أقابلك لشيء مهم، فرحت وهللت وظننت أن الشيء المهم هو ترتيب أمر الزواج قابلته وكان متجهماً، يبدو على وجهه القسوة وإذا به يبادرني قائلا قبل كل شيء لا تفكري في أمر الزواج أبدًا نريد أن نعيش سوياً بلا قيد، ارتفعت يدي دون أن أشعر وصفعته على وجهه حتى كاد الشرر يطير من عينيه، وقلت له كنت أظن أنك ستصلح غلطتك. ولكن وجدتك رجلا بلا قيم ولا أخلاق، ونزلت من السيارة مسرعة وأنا أبكي، فقال لي هنيهة من فضلك ووجدت في يده شريط فيديو يرفعه بأطراف أصابعه مستهزأ، وقال بنبرة حادة سأحطمك بهذا الشريط قلت وما بداخل الشريط؟ قال: هلم معي لتري ما بداخله ستكون مفاجأة لك، وذهبت معه لأرى ما بداخل الشريط ورأيت تصويراً كاملاً لما تم بيننا في الحرام. قلت

---

(١) أنظر شريط الفيديو الذي حطم حياتي.

ماذا فعلت يا جبان يا خسيس...؟ قال: كاميرات خفية كانت متسلطة علينا تسجل كل حركة وهمسة، وهذا الشريط سيكون سلاحا في يدي لتدميرك إلا إذا كنت تحت أوامري ورهن إشارتي وأخذت أصيح وأبكي لأن القضية ليست قضيتي بل قضية عائلة بأكملها؛ ولكن قال: أبداً والنتيجة أني أصبحت أسيرة بيده ينقلني من رجل إلى رجل ويقبض الثمن... وسقطت في الوحل وانتقلت حياتي إلى الدعارة وأسرتي لا تعلم شيئا عن فعلتي فهي تثق بي تمامًا. وانتشر الشريط ووقع بيد ابن عمي، فانفجرت القضية وعلم والدي وجميع أسرتي وانتشرت الفضيحة في أنحاء بلدتنا، ولطخ بيتنا بالعار، فهربت لأحمي نفسي واختفيت عن الأنظار وعلمت أن والدي وشقيقاتي هاجروا إلى بلاد أخرى، وهاجرت معهم الفضيحة تتعقبهم وأصبحت المجالس يتحدث فيها عن هذا الموضوع وانتقل الشريط من شاب إلى آخر وعشت بين المومسات في الرذيلة وكان هذا النذل هو الموجه الأول يحركني كالدمية في يده ولا أستطيع حراكا؛ وكان هذا الشاب السبب في تدمير العديد من البيوت وضياع مستقبل فتيات في عمر الزهور وعزمت على أن أنتقم، وفي يوم من الأيام دخل علي وهو في حالة سكر شديد فاغتنمت الفرصة وطعنته بمدية فقتلت إبليس المتمثل في صورة آدمي وخلصت الناس من شروره وكان مصيري أن أصبحت وراء القضبان أتجرع مرارة الذل والحرمان وأندم على فعلتي الشنيعة وعلى حياتي التي فرطت فيها وكلما تذكرت شريط الفيديو خيل إلي أن الكاميرات تطاردني في كل مكان فكتبت قصتي هذه لتكون عبرة وعظة لكل فتاة). أهـ بتصرف[١].

قال الشاعر:

إن كنت تعلم حين تصبح آمنا ... إن المنايا إن أقمت تقيم

فالزم هواك كما رضيت فإنه ... لا مثل ذلك في النعيم نعيم

وقال بعضهم:

إذا وجدت المرء يعتاده الهوى — فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه — وقد وجدت فيه مقالاً عواذله
وما يردع النفس اللجوج عن الهوى — من الناس إلا حازم الرأي كامله

القصة الثانية
قصة أب تسبب في ضياع شرف ابنته

اشترى بعض الآباء دشًا وأدخله بيته ليفرح أهله وأطفاله – على حد زعم الكثير ممن لا يفهمون قصد أعداء الإسلام من صناعة هذا العدو الخطير – وعرفت بعض بناته العلاقة بين الشباب والشابات عبر القنوات الفضائية فقد كانت إذا نام أهل البيت تنظر إلى ما حرم الله من مناظر سافرة ضمن برامج ساقطة تثير الغريزة والشهوة، ومع مر الأيام لم تتمالك الفتاة نفسها دون عشيق ينفس عنها ما يختلج بين جوانحها فأرادت هذه الفتاة أن تخوض التجربة، فتعرفت على أحد الشباب من فصيلة الذئاب البشرية التي لا تعرف الرحمة وكانت لقمة سائغة له، وفي أيامنا هذه نماذج كثيرة منها، فماذا جنت هذه العذراء على نفسها لقد حملت بين أحشائها جنينا بعد قصة دامية مؤلمة..!!

ووقعت الفتاة مع صاحبها في قبضة رجال الأمن واستدعي والدها ليرى الفاحشة بنفسه..!!

ووقف الأب أمام ابنته وقد تمنى الموت قبل أن يراها في ذلك الموقف وقال بصوت مرتفع وهو في حالة يرثى لها دعوني أقتلها لقد شوهت سمعتي ولوثت شرفي لقد سودت وجهي أمام الناس..).

عندها رفعت البنت رأسها وواجهت أباها قائلة أبي أنت السبب جئتنا بطبق الدش وتركتنا من غير رقابة وكأنك جئتنا بعاهرة ودونما أن تشعر أنك أنت السبب في كل ما جرى لي وجئت الآن تبكي على طهري وعفافي..!!.

وقد وصف حال هذه الفتاة مع والدها بعض الشعراء قائلا:

كفى لوما أبي أنت الملام ... كفاك فلم يعد يجدي الملام
أنا العذراء يا أبتاه أمست ... على الأرجاس يبصرها الكرام
سهام العار تغرس في عفافي ... وما أدراك ما تلك السهام
جراح الجسم تلتئم اصطبارا ... وما للعرض إن جرح التئام
أبي هذا عفافي لا تلمني ... فمن كفيك دنسه الحرام
زرعت بدارنا أطباق فسق ... جناها يا أبي سم وسام
تشب الكفر والإلحاد نارا ... لها بعيون فطرتنا اضطرام
نرى قصص الغرام فيحتوينا ... مثار النفس ما هذا الغرام
فنون إثارة قد أتقنوها ... بها قلب المشاهد مستهام
نرى الإغراء راقصة وكأسا ... وعهرا يرتقي عنه الكلام
كأنك قد جلبت لنا بغيا ... تراودنا إذا هجع النيام
تخاصمني على أنقاض طهري ... وفيك اليوم لو تدري الخصام
زرعت الشوك في دربي فأجرى ... دم الأقدام وانهد القوام
أبي هذا العتاب وذاك قلبي ... يؤرقه بآلامي السقام
ندمت ندامة لو وزعوها ... على ضلال قوم لاستقاموا
أبي حطمتني وأتيت تبكي ... على الأنقاض ما هذا الحطام
أبي هذا جناك دماء طهري ... فمن فينا أيا أبت الملام

أهـ بتصرف واختصار(١).

قلت: لقد تساهل الناس بالتلفزيونات والدشوش وبالأضرار الناتجة عن مشاهدة ما في هذه الأجهزة، التي دمرت الشباب وقضت على عفاف الكثير من الناس، بل وصل الأمر إلى أنها دمرت دين الكثير من الناس، فكم نسمع من مسخ وذهاب للغيرة وترك للصلاة بسبب الاعتكاف عند هذه الأجهزة التي عزانا بها الأعداء إلى داخل البيوت والله يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) ضحايا الحب، ص ١٤٥-١٤٧.

وقال ﷺ : «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ عن ابن عمر رضي الله عنهما . وكذلك الصحف والمجلات المستهدفة للشباب والشابات .

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد – حفظه الله – في رسالته حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ : (وجليٌّ من هذه النصوص، وجوب تربية الأولاد على الإسلام، وأنها أمانة في أعناق أوليائهم، وأنها من حق الأولاد على أوليائهم من الآباء والأوصياء وغيرهم) أهـ المراد .

فإدخال الدشوش البيوت مِنْ الْكَبَائِر الْمُبْعِدَة عَنْ الْجَنَّة لقوله ﷺ : «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة**» [رواه مسلم] .

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : (. . .وكذلك على ولي الأمر العام يجب عليه أن يمنع هذه الأشياء وذلك لأن هذه الأشياء إذا شاعت بين الناس صار المجتمع مجتمعا بهيميا . . . لو أن كل واحد منا في بيته منع أهله من اقتناء هذه الصحف والمجلات الخليعة الفاسدة، ومشاهدة التمثيليات الفاسدة والمسلسلات الخبيثة لصلح الناس، لأن الناس هم أفراد الشعب أنت في بيتك والثاني في بيته، والثالث في بيته وهكذا إذا صلحوا صلح كل شيء أهـ باختصار . [شرح رياض الصالحين ٣ / ٦٣٢] .



الفصل السابع عشر
الهـــاتف والبنـــات

قصة الواهم بالحب الشريف

اتصل بعض الشباب بشابة تليفونيًا وأوهمها بحبه الشريف لها، ثم تواعدا وتقابلا أكثر من مرة وهو يظهر لها حبه ووده وعفافه وأنه لا يستطيع البعد عنها لحظة واحدة، أخذ منها صوراً، وتصور معها أيضا، وبعد مرور أربع سنوات من عمر قصتها مع هذا الذئب قال لها: مكنيني من نفسك فلا يهم إن كان هذا الشيء يتم بعد الزواج أو الآن لأننا سنتزوج هنا تحركت بواعث الإيمان فيها واستيقظت بعد طول العمر غفلتها، فقالت: أولا: الدين- الأهل - الزواج - العرض - النار - العار- البكارة - الناس. قال إن لم يحصل ما أريد فضحتك، ومعي أدلة ضدك صورك... عاشت المسكينة في جحيم خلقته لنفسها.. ماذا استفادت؟ وبماذا رجعت؟ رجعت بالذل والهوان)[1]. أهـ بتصرف.

قال هشام بن عبد الملك:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

وقال آخر:

واترك الشيء أهواه ويعجبني ... أخشى عواقب ما فيه من العار

وقال آخر:

وكيف يؤمل الإنسان رشداً ... وما ينفك متبعاً هواه

---

(١) مكالمة المساء، ص ٨٩-٩٠ .

الفصل الثامن عشر
ذكر من ارتد عن الدين بسبب العشق المشين

القصة الأولى
قصة مؤذن تنصر بسبب العشق

يروى أنه كان بمصر رجل يلازم مسجدًا للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يومًا المنارة على عادته للأذان وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار، فقالت له ما شأنك ما تريد؟ قال أريدك أنت، قالت لماذا قال لها قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي، قالت لا أجيبك إلى ريبة قال لها أتزوجك، قالت له أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال لها أتنصر قالت إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوجها وأقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه ولا هو بها فتعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة[١] .اهـ.

القصة الثانية
قصة مجاهد عشق نصرانية فتنصر

ذكر ابن الجوزي قصة رجل كان من المجاهدين في بلاد الروم فلما كان في بعض

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٣٧ للإمام القرطبي.

الغزوات والمسلمون محاصرون بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك فقالت أن تتنصر وتصعد إلي فأجابها إلى ذلك فما راع المسلمين إلا وهو عندها فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديدا وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا يا فلان ما فعل قرآنك، ما فعل علمك، ما فعل صيامك ما فعل جهادك، ما فعلت صلاتك، فقال اعلموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿ **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر: ٢-٣]، وقد صار لي فيهم مال وولد »[١]اهـ

قلت فإن إطلاق البصر أصل كل مصيبة عند كل عاشق ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ [النور: ٣٠]، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (فلما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، . . . وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته)[٢].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وبدأ سبحانه بالغض في الموضعين قبل حفظ الفرج، لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج، والوسيلة مقدمة على المتوسل إليه)[٣] أهـ.

فبسبب النظر إلى ما حرم الله ختم لهذين الشقيين المؤذن والمجاهد بالكفر وكانت نهايتهما إلى جهنم وبئس المصير. وصدق النبي ﷺ إذ يقول: « **إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بخواتيمها** »[٤].

وصدق الشاعر في قوله:

---

(١) البداية والنهاية [١١ / ٦٤].

(٢) روضة المحبين، ص ٢٩ .

(٣) فتح القدير [٤ / ٢٧].

(٤) رواه البخاري ٦١٢٨ .

والدين رأس المال فاستمسك به	فضياعه من أعظم الخسران
واغضض جفونك عن ملاحظة النساء	ومحاسن الأحداث والصبيان

القصة الثالثة
قصة رجل ارتد عن الإسلام بسبب عشقه لغلام

يروى أن رجلاً عشق غلامًا فاشتد كلفه به، وتمكن حبه من قلبه حتى وقع ألم به، ولزم الفراش بسببه وتمنع ذلك الشخص عليه واشتد نفاره عنه، فلم تزل الوسائط يمشون بينهما حتى وعده أن يعوده، فأخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه وجعل ينتظر المعياد الذي ضربه له فبينا هو كذلك إذ جاءه الساعي بينهما فقال إنه وصل معي إلى بعض الطريق ورجع فرغبت إليه وكلمته، فقال إنه ذكرني وبرح بي ولا أدخل مداخل الريب ولا أعرض نفسي لمواقع التهم فعاودته فأبى وانصرف، فلما سمع البائس ذلك أسقط في يده وعاد إلى أشد مما كان به وبدت عليه علائم الموت فجعل يقول في تلك الحال:

أسلم يا راحة العليل	ويا شفاء المدنف النحيل

فقلت له يا فلان اتق الله قال: قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت فعياذًا بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة[1]. اهـ

---

(١) الجواب الكافي.

القصة الرابعة
قصة مسلم تنصر ونصرانية أسلمت قبل موتهما

حكى ابن الجوزي أن رجلاً تعلق بجارية نصرانية وأخذ هواها منه حتى أزال عقله فحمل إلى البيمارستان(١) فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد أيست من ملاقات فلانة في الدنيا وأخاف ألا ألقاها في الآخرة إن مت مسلما ثم تنصر ومات. فخرج من عنده فوجدها عليلة وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيا فأنا أسلم لألقاه في الآخرة ثم أسلمت وماتت)(٢). أهـ

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الجواب الكافي عن العشق: (تارة يكون كفر لمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك، وعلامة هذا العشق الشركي الكفرى أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه إن بذل أردى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضات معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه إن أطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته فتأمل حال أكثر عشاق الصور هل تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة ثم زن وزنا يرضي الله ورسوله ويطابق العدل).

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال ٢٤]. وقال الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ [الفرقان ٢٢]. وقال الله تعالى: ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(١) بيمارستان: المستشفى الصحي

(٢) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ١ / ٢٨٢ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كانت يمين النبي ﷺ لا ومقلب القلوب)[١].

وعن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال له أصحابه وأهله يا رسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به قال إن القلوب بيد الله عز وجل يقلبها)[٢].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وكان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه**»[٣].

---

(١) رواه البخاري [٦٢٥٣].

(٢) رواه أحمد وقوى إسناده شعيب برقم ١٢١٠٧ و ١٣٦٩٦.

(٣) رواه أحمد ٤ / ١٨٢.



الفصل التاسع عشر
ذكر انحراف بعض الشباب بسبب أصدقاء السوء

في يوم من الأيام خرجت والدتها برفقة والدها إلى السوق مع أختها الصغرى وجلست هي في البيت ولم تخرج الفتاة معهم وبعد لحظات رن الهاتف فإذا بصديقتها تدعوها إلى نزهة قصيرة للتجول في إحدى المراكز الجديدة فوافقتها على ذلك.

جاءتها صديقتها وذهبتا سوية.. تبادلتا أطراف الحديث.. سألتها صديقتها هل لديك صديق؟ فقالت كيف أخون ثقة أهلي بي!!. فقالت صديقتها كلام قديم لا أحب سماعه..

فأشارت إلى أحد المحلات وقالت انظري هنالك مجموعة من الشباب هيا لا تضيعي الفرصة فرفضت الفتاة ولكنها ضعفت ووافقت صديقتها بعد إصرارها ووافقتها بالذهاب للتعرف عليهم فرمى عليها أحد الشباب ورقة مكتوب عليها رقم هاتفه فهنأتها صديقتها بالصديق الجديد وعادت الفتاتان واتجهت كل واحدة منهما إلى منزلها.

وبعد لحظات اتصلت الصديقة المشؤمة بالفتاة وحاولت إقناعها أن تتصل بصديقها فلما اتصلت وتحدثت معه وكرر الاتصال انتهى إلى موعد لقاء مع حبيبها.

وذهبت الفتاة إلى الموعد ويا ليتها لم تذهب ذهبت بكرامتها وعزتها وشرفها وعادت وهي تجر الخزي والعار وراءها.

ماذا تفعل ماذا تقول لأهلها؟؟ ومضت الأيام والأشهر.. لاحظت بعدها حركة في رحمها فهربت من المنزل خوفا من الفضيحة ومضت الأيام إلى أن اكتمل حملها

وحان موعد وضعها، ذهبت إلى إحدى النساء الشهيرات بالتولد في المنزل لتضع طفلة من الزنا وبعد الوضع هربت وتركت الطفلة ثم تذكرت صاحبها الذي كان سبب تعاستها وشقائها فاتصلت به لعله ينقذها فضحك ساخراً وأغلق سماعة الهاتف في وجهها لأنها ليست أول مخدوعة تنجب منه.

ماذا تفعل، لجأت إلى التسول، وكان والدها قد بلغ عن اختفاء ابنته، وبينما هي تتسول عثر عليها وتم إدخالها الإصلاحية، فتبرأ أهلها منها وحرمت الحياة الزوجية والأبناء والعطف عليهم، وبعد الفكر والتذكر صرخت البائسة اليائسة صرخة دامية بعد أن سقطت أرضا ومرضت حتى ماتت ودفنت دون أن تجد عينا عليها باكية)[١]. أهـ باختصار وتصرف.

---

(١) ضحايا الحب، ص ١٥٣-١٥٦.

الباب الثاني

ذكر من خلصهم الصدق من الوقوع في العشق والرذيلة

الباب الثاني
ذكر من خلصهم الصدق من الوقوع في العشق والرذيلة

لما ذكرت أحوال العشاق المخذولين ونهاياتهم المرة أحببت أن أتبعها بقصص أهل الفضيلة الذين عصموا عن الوقوع في الرذيلة، وهم المؤمنون الموفقون الذين ثبتوا في طريق الهداية فأنقذهم الله من الغواية بقدر صدقهم معه.

روى البخاري في صحيحه من حديث الحَارِث بْنِ سُوَيْدٍ قال حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُود حَدِيثَيْنِ أَحَدُهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِه قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْه، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفه فَقَالَ به هَكَذَا**»

القصة الأولى
قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز

قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)**

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف ٢٣-٣٤]. فالله صرف عن يوسف عليه السلام السوء والفحشاء لأنه من عباده المخلصين واختار يوسف السجن على المعصية فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم.

القصة الثانية
قصة المرأة الجميلة مع الربيع بن خيثم

حُكي في مصارع العشاق عن محرز أبي القاسم الجلاب قال: حدثني سعدان قال: أمر قوم امرأة ذات جمال بارع، أن تتعرض للربيع بن خيثم، فلعلها تفتنه، قال: وجعلوا لها، إن هي فعلت، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها في تلك الحال، فراعه أمرها وجمالها، ثم أقبلت عليه، وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من نورك وبهجتك؟ أم كيف بك لو نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخةً، وخرت مغشياً عليها، قال: فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها جذع محترق).

القصة الثالثة
قصة الشاب الهارب من الفاحشة

نقل بعضهم تواتر خبر الشاب خالد المسكي مع شابة شغفت بحبه فقال: (كان (خالد المسكي) شابًا جميلاً تقيًا ورعًا يكسب قوته بعمله وتعبه، يحمل بضاعته على رأسه كبائع متجول، فانبهرت بجماله إحدى النساء ودعته لبيتها بحجة أنها تريد الشراء منه، وغلقت الأبواب وقالت إن لم تفعل بي فضحتك أمام الناس واتهمتك أنك تريد أن تهتك عرضي، ولما لم يستطع الخلاص منها بشتى الطرق أظهر لها الموافقة وطلب منها السماح له بدخول الحمام من أجل أن يزيل الأوساخ والأدران فسعدت بذلك ووافقت، فدخل الحمام وبحث عن مخرج من هذا الابتلاء فوجد حيلة تدل على رجاحة عقله وعلى قوة إيمانه، حيلة بها من القذارة الظاهرة لكن لا ضير بها إذا كانت من أجل الفرار من معصية الله، فلطخ جسده بالغائط وتلوث فأصبح يحمل رائحة كريهة ومنظراً بشعا فخرج إليها فلما رأته على هذه الحالة استقذرته وأمرته بالخروج من بيتها وطردته، وفر بنفسه وضحى بجمالها ومالها بل ترك بضاعته عندها لينجو بدينه .فأنعم الله عليه بدلا من هذه الرائحة الكريهة برائحة زكية كأنها المسك حتى أصبح الناس يعرفون قدومه عند شم رائحته وأصبح يسمى عند الناس بخالد المسكي[1] .

قلت: هكذا يفعل الإخلاص في قلوب المؤمنين قال الله عن نجاة يوسف عليه السلام من امرأة العزيز: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف:٢٤] .

وقال الشاعر:

وأحور مخضوب البنان محجب ... دعاني فلم أعرف إلى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها ... ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

(١) من أخبار المنتكسين، ص ٢٥-٢٦ . وأصلها في المستطرف.



الباب الثالث

تائبــون ونادمــون

الباب الثالث
تائبـــون ونادمـــون

لما ذكرت قصص وأحوال العشاق المخذولين ونهاياتهم المرة، ثم ذكرت بعدها قصص الذين عصمهم الله عن الوقوع في الرذيلة، أحببت أن أتبعهما ببعض قصص التائبين إلى الله، لعل في ذلك عبرة لمن أسرف في فعل المعاصي، وقبل ذلك أذكر شيئا من الأدلة عن فضل التوبة والتائبين:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طه: ٨٢].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

وقال تعالى: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ** ﴾ [النساء: من الآية١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٢).

---

(١) رواه مسلم [٢٧٥٩].

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٩٠٣.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللهِ للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**».

فالتوبة واجبة لأنها دفع ضرر عن النفس وحقيقتها هي :الندم والعزم على ترك المعاصي وهي مكفرة للذنوب. لقوله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١).

وقال الشاعر:

أسأت ولم أحسن وجئتك تائباً ... وأنى لعبد عن مواليه يهرب
يؤمل غفراناً فإن خاب ظنه ... فما أحد منه على الأرض أخيب

القصة الأولى
توبة ماعز

فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزَنَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ

(١) رواه ابن ماجه [٤٢٥٠] وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣١٤٥].

قَالَ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ)(١).

القصة الثانية
توبة الغامدية

فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّ امْرَأَةً (يَعْنِي مِنْ غَامِدٍ) أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ فَجَرْتُ فَقَالَ: ارْجِعِي فَرَجَعَتْ فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ أَتَتْهُ فَقَالَتْ: لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى، فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَرَجَعَتْ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَتَتْهُ فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي، فَرَجَعَتْ فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فَقَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَجَاءَتْ بِهِ وَقَدْ فَطَمَتْهُ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ، فَأَمَرَ بِالصَّبِيِّ فَدُفِعَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، وَكَانَ خَالِدٌ فِيمَنْ يَرْجُمُهَا فَرَجَمَهَا بِحَجَرٍ فَوَقَعَتْ قَطْرَةٌ مِنْ دَمِهَا عَلَى وَجْنَتِهِ فَسَبَّهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَهْلاً يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، وَأَمَرَ بِهَا فَصُلِّيَ عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ)(٢).

القصة الثالثة
توبة امرأة من جهينة

روى الإمام مسلم بن الحجاج – رحمه الله تعالى – في صحيحه بإسناده إلى عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه أن امرأةً من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى

(١) رواه مسلم [١٦٩٥].

(٢) رواه أبو داود [٣٨٥٣] وغيره وهو في صحيح مسلم.

من الزنا، فقالت: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فائتني، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ، فشدت عليها ثيابها؟ ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبةً لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟!

القصة الرابعة
توبـة عابد وامرأة بغـي

عن أبي كعب صاحب الحرير عن الحسن قال: كانت امرأة بغي لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها فقال: إنك أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت: له ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلما جلس منها مجلس الخاتن ذكر مقامه بين يدي الله فأخذته رعدة فقال لها اتركيني أخرج ولك المائة دينار قالت: ما بدا لك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت علي فعلت الذي فعلت، فقال: فرقا من الله ومن مقامي بين يديه وقد بغضت إلي فأنت أبغض الناس إلي فقالت: إن كنت صادقًا فما لي زوج غيرك فقال دعيني أخرج فقالت: لا إلا أن تجعل لي أن تزوج بي، قال: لا حتى أخرج قالت فلي عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجني، قال: لعل فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه فقيل له إن الملكة قد جائتك فلما رآها شهق شهقة فمات وسقط في يدها وقالت: أما هذا فقد فاتني فهل له من قريب قالوا أخوه رجل فقير قالت فإني أتزوجه حبا لأخيه فتزوجته)[1].

---

(١) التوابين، ص ٧٤-٧٥.

قلت لقد كانت مراقبة الله وتقواه وخوفه من بطشه وعذابه سببا في نجاة الرجل من الفاحشة كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق: ٢]. وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤]. وقال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فمن اتقى الله وخاف منه وخشيته فرق بين الحلال والحرام وبين الحق والباطل ولم يقبضه الله على معصية بل يسارع إلى فعل الخير.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

فعلى هذا العابد يصدق قول بعض الفضلاء:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة … والنفس داعية إلى العصيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها … إن الذي خلق الظلام يراني

القصة الخامسة
توبة القصاب والجارية

ذكر صاحب كتاب (التوابين) قول بكر ابن عبد الله المزني: (أن قصاباً ولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها، فقالت: لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك لي ولكني أخاف الله، قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه، فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله قال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل، قال فأنا أدعو وأمن أنت قال فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه

ومالت السحابة فمالت عليه فرجع الرسول فقال زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني ما أمرك فأخبره فقال الرسول التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه) .

ولأبي علي بن الشبل :

وآنف أن تعتاق قلبي خريدة بلحظ وأن يروى صداي رضاب
وللقلب مني زاجر من مروءة يجنبه طرق الهوى فيجاب

القصة السادسة
توبة عابد من العبدة

يحكى أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فذهب فوضع يده في النار حتى نشت[١] .

قلت : لعله أراد بذلك الفعل أن يذكر نفسه بعذاب الله الشديد في نار جهنم فيقارن بين لذة لحظة وذلك العذاب .

القصة السابعة
قصة توبة رجل عن الفواحش

ذكر صاحب كتاب التوابين عن مالك بن دينار أنه قال كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى إلي الجيران يشكون منه، فأحضرناه وقلنا له إن الجيران يشكونك فسبيلك أن تخرج من المحلة، فقال : أنا في منزلي لا أخرج قلنا تبيع دارك، قال : لا أبيع

(١) التوابين .

ملكي قلنا نشكوك إلى السلطان قال: أنا من أعوانه، قلنا: ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم، قال: فلما أمسينا قمت وصليت ودعوت عليه فهتف بي هاتف لا تدع عليه فإنه من أولياء الله تعالى فجئت إلى باب داره ودققت الباب فخرج فظن أني جئت لأخرجه من المحلة فتكلم كالمعتذر فقلت: ما جئت لهذا ولكن رأيت كذا وكذا فوقع عليه البكاء وقال إني تبت بعد ما كان هذا ثم خرج من البلد فلم أره بعد ذلك، واتفق أني خرجت إلى الحج فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم فرأيته مطروحا عليلا فلم ألبث أن قالوا مات الشاب رحمه الله).

القصة الثامنة
توبة فتى من الأزد عن التأنث والتخنث

قال رجاء بن ميسور المجاشعي: «كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى فقرأ الفتى: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر:١٨] فقطع صالح عليه القراءة وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع والمطالب له رب العالمين، إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ماذا نزل بنا ماذا حل بنا أين يذهب بنا ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين ومرة يقادون إليها مقرنين من بين باك دما بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك، ثم نحب وصاح يا سوء منظراه يا سوء منقلباه وبكى وبكى الناس، فقام فتى من الأزد كان به تأنيث فقال أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؟؟!! قال: نعم والله يا ابن

أخي وما هو أكثر لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف فصاح الفتى إنا لله، واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وا أسفا على تفريطي في طاعتك يا سيداه وا أسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا ثم بكى واستقبل القبلة، فقال اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك اللهم فاقبلني على ما كان في واعف عما تقدم من فعلي وأقلني عثرتي وارحمني ومن حضرني وتفضل علينا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقا لذلك قلبي فالويل لي إن لم تقبلني ثم غلب فسقط مغشيا عليه، فحمل من بين القوم صريعا فمكث صالح وإخوته يعودونه أياما ثم مات والحمد لله، فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له فكان صالح كثيرا ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان قال فرآه رجل في منامه قال ما صنعت قال عمتني بركة مجلس صالح فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء)[١]. أهـ

القصة التاسعة
توبة رجل عن حب مغنية شغلته عن الله

ذكر صاحب كتاب التوابين أن رجلا اجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوج فاشترى جارية وكانت تغني وهو لا يعلم، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلي رفعت الجارية صوتها بالغناء، فطار لبه فرام ما كان عليه من العبادة فلم يطق فأقبلت الجارية عليه فقالت يا مولاي لقد أبليت شبابك ورفضت لذات الدنيا أيام حياتك فلو تمتعت بي، فمال إلى قولها واشتغل باللذات عما كان فيه من التعبد، فبلغ ذلك أخا له كان يوافقه على العبادة فكتب إليه (بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق،

(١) المصدر السابق.

والطبيب الرفيق، إلى من سلب حلاوة الذكر والتلذذ بالقرآن والخشوع والأحزان، بلغني أنك اشتريت جارية بعت بها من الآخرة حظك، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل والقرآن بالقيان، فإني محذرك هادم اللذات، ومنغص الشهوات وموتم الأولاد، فكأنه قد جاء على غرة، فأبكم منك اللسان وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان واحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصيحة إذا جثت الأمم لهول ملك جبار، فاحذر يا أخي ما يحل بك من ملك غضبان، ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره فغص بريقه وأذهله ذلك، فنهض مبادرا من مجلس سروره وكسر آنيته وهجر جاريته... قال الذي وعظه فلما مات رأيته في المنام بعد ثلاث فقلت ما فعل الله بك قال قدمنا على رب كريم أباحنا الجنة وقال:

الله عوضني ذو العرش جارية حوراء تسقيني طورا وتهنيني
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني وقر عينا مع الولدان والعين
يا من تخلى عن الدنيا وأزعجه عن الخطايا وعيد في الطواسين

القصة العاشرة
توبة شاب وجارية جميلة بعدما أحب كل منهما الآخر

فعن رجاء بن عمر النخعي قال: (كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد، فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها مثل الذي نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه الجارية قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك، لذلك مع وجدي بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي فقال للرسول

لا واحدة من هاتين الخصلتين ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[الأنعام: ١٥، والزمر: ١٣].

أخاف نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهبها فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشتركون ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح[١] وجعلت تعبد وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت شوقا إليه فكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر فقال كيف أنت وما لقيت بعدي فقالت:

نعم المحبة يا حبيبي حبكا ... حب يقود إلى خير وإحسان

فقال على ذلك إلى ما صرت فقالت:

إلى نعيم وعيش لا زوال له ... في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال لها اذكريني هناك فإني لست أنساك فقالت ولا أنا والله أنساك ولقد سألتك ربي مولاي ومولاك فأعانني على ذلك بالاجتهاد، ثم ولت مدبرة فقلت لها متى أراك قالت ستأتينا عن قريب فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات، رحمهما الله)[٢].

القصة الحادية عشرة
توبة عبد أراد الله به خيراً

روى عبد الله بن مغفل أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها فقالت مه فان الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام فتركها وولى فجعل يلتفت خلفه ينظر إليها حتى أصاب الحائط وجهه، فأخبر النبي ﷺ بالأمر فقال

(١) لبس المسوح عند الزهد والتوبة ليس من هدي السلف.
(٢) التوابين.

أنت عبد أراد الله بك خيرًا ثم قال إن الله إذا أراد بعبده شرًا أمسك ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)[١].

القصة الثانية عشرة
منحرف رأى رؤيا صالحة فتاب إلى الله واستقام على الدين

وهذا شاب تعلق قلبه بحب النساء والمردان والشذوذ الجنسي، يقضي معظم وقته في مشاهدة الأفلام الجنسية أو المغازلة بالهاتف، كان يشعر رغم استمتاعه وتلذذه بالشهوات أن هناك فراغا في نفسه وضيقا في صدره وهماً في قلبه، كلمه أحد الدعاة إلى الله عز وجل وذكره الموت :

فارقت موضع مرقدي يوما ففارقني السكون القبـــر أول ليلة بالله قل لي مـــا تكون

تأثر وبكى وسلك طريق الهداية، لكن تلك المناظر الرهيبة التي كان يشاهدها في الأفلام كانت تقلق باله وتنغص عيشه، وكان أصدقاء السوء يدعونه إلى السفر معهم إلى بلاد الإباحية ويقولون كيف تركتنا لا يمكنك ذلك، أخذ يبكي وهو يعلم ضعف نفسه وقلة حيلته، أخبر بعض الدعاة بحاله وتفكيره في السفر فنصحه ذلك الداعية برفق وذكره بقول الله عز وجل ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فقوي عزمه وترك أصدقاء السوء وصبر فترة يجاهد نفسه، ولكن تلك الأفكار الخبيثة لم تتركه وفي تلك الليلة بعد دموع ساخنة وهموم كثيرة نام فرأى رؤيا صالحة استيقظ على نداء الله أكبر توضأ وذهب لصلاة الفجر يشعر أنه فقط يريد أن يبكي أخذ يبكي ويبكي، وفعلا هدأت نفسه بعد تلك الرؤيا واستقامت حياته نسأل الله أن يثبتنا وإياه)[٢]. اهـ

---

(١) رواه أحمد [٤/ ٨٧] وصححه شعيب برقم [١٦٨٠٦] وهو في الصحيحة [١٢٢٠].
(٢) علاج الانحراف في ضوء الإسلام، ص ٥٣ – ٥٤ .

القصة الثالثة عشرة
توبة شاب على يد امرأة

يقول هذا الشاب: (أحضر من العمل بعد الساعة الثالثة وآخذ قسطا من الراحة وفي المساء ألبس أحسن ثيابي وأخرج لأتجول في الشوارع ليس لي هدف معين. خرجت يوما كالعادة فوجدت امرأة تسير بمفردها وتبعتها إلى أن دخلت منزلها، فطرقت لها الباب ففتحت الباب وقالت مرحبا!! دخلت معها أحضرت لي كوبا من العصير ثم قالت ماذا تريد؟ قلت أريدك قالت هل لك أخوات؟ قلت لا، قالت: هل لك خالة هل لك عمة؟ وهل تقبل هذا العمل في أختك أو في خالتك؟ صمت قليلاً وقبل أن أرد نفسي، قالت: هل تدري لماذا فتحت لك الباب وأدخلتك إلى منزلي؟ قلت: لا، قالت: لأني أراك منذ زمن بعيد وأنت في هذه الشوارع وأردت أن أنصحك لوجه الله في إمكاني أن أتصل على زوجي أو أخي أو الجيران ويحصل لك ما لا تريده، ولكني قلت أنصحك لعلك ترجع من مثل هذا العمل وتخاف الله الذي خلقك فسواك فعدلك، وتكون عضوا صالحا للمجتمع الذي تعيش فيه، واتق الله في نفسك وفي الآخرين... تمالكت على نفسي وقمت وهممت بالخروج، قالت: أخرج من حيث أتيت ولا تعد لمثل هذا العمل. خرجت من منزلها وأنا لا أعلم إلى أين أنا ذاهب، قضيت أسبوعا كاملا في المنزل لم أخرج، بعد أسبوع ذهبت لأزور بعض الأصدقاء وفي الطريق قابلتني نفس المرأة ومعها زوجها، قالت: لزوجها هذا هو الشاب الذي علمتك بقصته، قال لي أنت الذي.. قاطعته قائلا لا لست أنا المعني تبسم في وجهي وقال لزوجته إنه مريض شفاه الله، ثم انصرفا قلت أنا مريض! كانت لهذه الكلمة وقعة شديدة في قلبي أنا مريض! لا لا أنا لست مريضاً، ودخلت في صراع مع نفسي ومن هناك غيرت اتجاهي وذهبت لصديق قديم كان معي وتركني وتاب إلى الله وحكيت له قصتي قال لي اسمع يا صالح أنت فعلا مريض وتحتاج إلى علاج وأنا كنت مريضا مثلك فتعالجت منه ولماذا لا تعرض نفسك على الطبيب؟ قلت هل نذهب إلى

طبيب نفساني؟ ضحك وقال لا اذهب إلى طبيب القلوب الله رب العالمين وتتوب إليه فإنه سبحانه وتعالى يفرح بتوبة العبد فسارع إليه وتب واقلع عن ذنبك واحمد الله الذي نجاك من الهلاك، قلت له هل أنت سعيد يا علي؟ قال نعم وأي سعادة جربها بنفسك فأنا وقتي كله سعادة من العمل إلى المنزل وبدل التسكع في الشوارع أذهب إلى المسجد وإلى تحفيظ القرآن والدروس أتعلم الدين الصحيح ومن ذلك الوقت تبت إلى الله توبة نصوحا لعل الله أن يرحمني برحمة من عنده والحمد لله الذي هداني ونجاني من الهلاك والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أسأل الله أن يجزي تلك المرأة خير الجزاء لأنها تعاملت معي بالحكمة والموعظة الحسنة وأنا أدعو لها في جميع صلواتي[(١)].

---

(١) دموع النادمات في قصص التائبات، ص ٥٦-٥٧ .

الباب الرابع

ذكر أخبار العشاق من الصوفية

الباب الرابع
ذكر أخبار العشاق من الصوفية

خبر
من قتل نفسه من الصوفية خوف الوقوع في الفاحشة

روى أبو حمزة أن محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي – وكان من خيار عباد الله – نظر إلى غلام جميل فغشي عليه فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زمانا طويلا، فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه وكان الناس يتحدثون بحديث نظره، فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدا فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته، فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته، فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل فقلت للشيخ وما الذي تكره من ذلك فقال لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين فقتل نفسه خوف الوقوع في الفاحشة)[1] اهـ

خبر
صوفي همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه

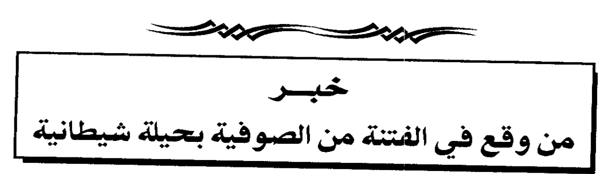
كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه ان دعته إلى فاحشة فراقب الله عز وجل، ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله

(١) تلبيس إبليس ج ١ / ٣٣٢-٣٣٣.

بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى نفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فغرق في البحر.

قال المصنف رحمه الله أنظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى إدمان النظر اليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى أستعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم والهمة معفو عنها لقوله ﷺ: «**إن الله عفا عن أمتي ما حدثت به نفوسها**»[١]، ثم إنه ندم على همته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ ونحن نهينا عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] فلقد أتى بكبيرة عظيمة.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا**»[٢] أهـ.



خبر
من وقع في الفتنة من الصوفية بحيلة شيطانية

من هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة،

والحديث باسناد عن إدريس بن إدريس قال حضرت بمصر قوما من الصوفية ولهم غلام أمرد يغنيهم قال فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال يا هذا قل لا إله إلا الله فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله »[٣] أهـ.



---

(١) الحديث متفق عليه.
(٢) المصدر السابق بلفظ «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».
(٣) المصدر السابق.

خبـــر
صوفي افتتن بغلام فمرض

حكى أبو حمزة الصوفي قال نظر رجل صوفي إلى غلام جميل فافتتن به فأقعد، فكان خادمه يأتيه ويسأله عن حاله فلا يخبره، وبلغ الغلام حاله فعاده فقام وذهب مرضه[١]. أهـ باختصار.

---

(١) مرض مرضاً أقعده عن القيام والمشي.





الباب الخامس

أقوال متفرقة



الباب الخامس
أقوال متفرقة

أضرار العشق

حكى الربعي: سمعت أعرابية تقول مسكين العاشق كل شيء عدوه، هبوب الرياح يقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورسوم الديار تحرقه، والعذل يؤلمه، والتذكر يسقمه، والبعد ينحله، والقرب يهيجه، والليل يضاعف بلاه، والرقاد يهرب منه، ولقد تداويت بالقرب والبعد فلم ينجح فيه دواء، ولا عزى فيه عزاء، ولقد أحسن الذي يقول:

وقد زعموا أن المحب إذا دنا ... يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد[١] أهـ

فالعشق أضر شيء على العبد في دينه[٢] ودنياه، وهو عشق المردان، فما ابتلى به إلا من سقط من عين الله، وطرد عن بابه وأبعد قلبه عنه، وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله، كما قال بعض السلف: [إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، وما أُوتوا إلا من هذا العشق] قال الله تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر:٧٢]، ودواء هذا الداء الرّدى الاستعانة بمقلب القلوب، وصدق اللجأ إليه، والاشتغال بذكره، والتعوض بحبه وقربه، والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به، فترتب عليه فوات أعظم محبوب وحصول أعظم مكروه، فإذا أقدمت نفسه على هذا وآثرته فليكبر على نفسه تكبير الجنازة وليعلم أن البلاء قد أحاط به)[٣].

---

(١) ذم الهوى. وهو في (طرائف ونوادر، ص ١٤٩).
(٢) بعد الشرك بالله.
(٣) الجواب الكافي.

قال بعضهم: (ذكر لي عن بعض حكماء الهند أنه قال إذا ظهر العشق عندنا في رجل أو امرأة غدونا على أهله بالتعزية)[1].

فالعاشق إذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق أمور أخر يريد من العاشق إعانته عليها، فلا يجد من إعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان، فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من اتصل به من أهله وأقاربه وسيده وزوجه والعاشق يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه، فكل منهما يعين الآخر على أغراضه التي يكون فيها ظلم الناس، فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم وكما جرت به العادة بين العشاق والمعشوقين من إعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغي، حتى ربما يسعى له في منصب لا يليق به، ولا يصلح لمثله في تحصيل مال من غير حله، وفي استطالته على غيره، فإذا اختصم معشوقه وغيره أو تشاكيا لم يكن إلا في جانب المعشوق ظالما كان أو مظلوما هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على أخذ أموالهم والتوصل بها إلى معشوقه بسرقة أو غصب أو خيانة أو يمين كاذبة أو قطع طريق ونحو ذلك، وربما أدى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله، ليأخذ ماله ليتوصل به الى معشوقه، فكل هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ من عشق الصور، وربما حمله على الكفر الصريح، وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الإسلام بسبب العشق كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر وهو على سطح مسجد امرأة جميلة ففتن بها فنزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت هي نصرانية فإن دخلت في ديني تزوجت بك ففعل، فرقي في ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات، ذكر هذا عبد الحق في كتاب (العاقبة) له، وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير أروه امرأة جميلة وأمروها أن تطمعه في نفسها حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك يثبت الله الذين

---

(١) ذم الهوى.

آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد الى الغير كما تقدم وأعظم من ذلك ظلمهما بالشرك، فقد تضمن العشق أنواع الظلم كلها، والمعشوق إذا لم يتق الله فإنه يعرض العاشق للتلف، وذلك ظلم منه بأن يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق، حتى يستخرج منه ماله ونفعه ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه، فهو يسومه سوء العذاب، والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره، وكم للعشق من قتيل من الجانبين وكم قد زال من نعمة، وأفقر من غني، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل، وكم أفسد من أهل للرجل وولد فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا لنفسها، فيصير الرجل متردداً بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس من يؤثر هذا ومنهم من يؤثر هذا فعلى العاقل أن يحكم على نفسه سد عشق الصور لئلا يؤذيه ويؤديه ذلك إلى الهلاك وإلى هذه المفاسد وأكثرها أو بعضها فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمغرر بها فإذا هلكت فهو الذي أهلكها فلولا تكراره النظر الى وجه معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه فإن أول أسباب العشق الإستحسان سواء تولد عن نظر أو سماع فإن لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه اليأس من ذلك لم يحدث له العشق، فإن اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له ذلك، فإن أطاع مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله، إما خوف ديني كخوف النار وغضب الجبار واجتناب الأوزار وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق فإن فاته هذا الخوف وقارنه خوف دنيوي كخوف إتلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس وسقوطه من عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه

(١) الجواب الكافي.

وأنفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة المعشوق اندفع عنه العشق فانتفاه ذلك كله .

أو غلبت محبة المعشوق لذلك انجذب إليه القلب بالكلية ومالت إليه النفس كل الميل)[١] اهـ

قالوا وكم أكبت فتنة العشق رؤوسا على مناخرها في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وجرعتهم بين أطباق النار كؤوس الحميم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين كخروج الشعرة من العجين، وكم أزالت من نعمة وأحلت من نقمة، وكم أنزلت من معقل عزه عزيزا فإذا هو من الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب فإذا هو في أسفل السافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلت من ندم، وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد وأذهبت قدرا كان للعبد عند الله وفي قلوب العباد، وكم جلبت من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، فقل أن يفارقها زوال نعمة أو فجاءة نقمة أو تحويل عافية أو طروق بلية أو حدوث رزية، فلو سألت النعم ما الذي أزالك، والنقم ما الذي أدالك، والهموم والأحزان ما الذي جلبك، والعافية ما الذي أبعدك وجنبك، والستر ما الذي كشفك، والوجه ما الذي أذهب نورك وكسفك، والحياة ما الذي كدرك، وشمس الإيمان ما الذي كورك، وعزة النفس ما الذي أذلك وبالهوان بعد الإكرام بدلك، لأجابتك بلسان الحال اعتبارا إن لم تجب بالمقال حوارا هذه والله بعض جنايات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [النمل:٥٢] ويكفي اللبيب موعظة واستبصاراً ما قصه الله سبحانه وتعالى عليه في سورة الأعراف في شأن أصحاب الهوى المذموم تحذيرا واعتباراً فبدأ سبحانه وتعالى بهوى إبليس الحامل له على التكبر عن طاعة الله عز وجل في أمره بالسجود لآدم، فحمله هوى النفس

---

(١) روضة المحبين ١/١٨٩-١٩٠.

وإعجابه بها على أن عصى أمره وتكبر على طاعته، فكان من أمره ما كان، ثم ذكر سبحانه هوى آدم حين رغب في الخلود في الجنة، وحمله هواه على أن أكل من الشجرة التي نهي عنها وكان الحامل له على ذلك هوى النفس ومحبتها للخلود، فكان عاقبة ذلك الهوى والشهوة إخراجه منها إلى دار التعب والنصب، وقيل إنه إنما أكل منها طاعة لحواء فحمله حبه لها أن أطاعها ودخل في هواها، وإنما توصل إليه عدوه من طريقها ودخل عليه من بابها، فأول فتنة كانت في هذا العالم بسبب النساء)[١] أهـ .

أضـــرار الزنـــا

الزنا يجمع خلال الشرور كلها، من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاءً بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته. ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة، ومنها سواد الوجه وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين ومنها ظلمة القلب وطمس نوره، وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له، ومنها الفقر اللازم وفي أثر يقول الله تعالى: (**أنا الله مهلك الطغاة ومفقر الزناة**) ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه، ومن أعين عباده ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو إسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» فسلبه إسم الإيمان المطلق، وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان... ومنها أن يعرض نفسه

(١) روضة المحبين.

لسكنى التنور الذي رأى النبي ﷺ فيه الزناة والزواني، ومنها أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة، كما قال الله تعالى: ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ﴾ [النور: ٢٦]، ومنها الوحشة التي يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة وفي قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة ومن جالسه استوحش به، ومنها قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة، ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحد على حرمته ولا على ولده، ومنها الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم، تفوح من فيه وجسده ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه، ولكن كما قيل:

كل به مثل ما بي غير أنهم … من غيرة بعضهم للبعض عذال

ومنها ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له، دع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته، ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن، وقد تقدم أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة، وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة، فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا بل كل ما ناله العبد في الدنيا فإن توسع في حلاله ضيق من حظه يوم القيامة بقدر ما توسع فيه، وإن ناله من حرام فاته نظيره يوم القيامة، ومنها أن الزنى يجرئه على قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وكسب الحرام وظلم الخلق وإضاعة

أهله وعياله، وربما قاده قسرا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر وبالشرك وهو يدري أو لا يدري، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها، ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصي بعدها فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها وأشراكها عز على الناصحين استنقاذه، وأعيى الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يفدى، وقتيلها لا يودى، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلي بها عبد فليودع نعم الله فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ [الرعد: ١١]، فهذا بعض ما في هذه السبيل من الضرر، وأما سبيل الأمة اللوطية فتلك سبيل الهالكين المفضية بسالكها إلى منازل المعذبين، الذين جمع الله عليهم من أنواع العقوبات ما لم يجمعه على أمة من الأمم لا من تأخر عنهم ولا من تقدم وجعل ديارهم وآثارهم عبرة للمعتبرين، وموعظة للمتقين[١]. أهـ

أهم أسباب النجاة من الوقوع في العشق وما يتعلق به من أخطار:

١- غض البصر:

قال ابن الجوزي: (من استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ [النور: ٣٢]، سلم في البداية بما صعب أمره في النهاية[٢] أهـ ولهذا أمرت المرأة بالحجاب قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ..**﴾ [النور: ٣١] فأوجب الله على المرأة أن تحتجب عن غير محارمها

---

(١) تلبيس إبليس ١/ ٣٣٢.

وتخفي زينتها قال تعالى: ﴿ **لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٥]. وقال تعالى في شأن إخفاء الزينة: ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ...** ﴾ [النور: ٣١].

٢- اتيان الأهل إن كان متزوجا:

إذا وقع البصر على امرأة لا تحل له: لحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**» وهو في الصحيح المسند من أحكام النكاح للعدوي.

قال شيخ الإسلام في [مجموع الفتاوى ٥/٣٢]: (من أصابه جرح مسموم فعليه بما يخرج السم ويبرئ الجرح بالترياق والمرهم وذلك بأمور منها أن يتزوج أو يتسرى فإن النبي ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى محاسن امرأة فليأت أهله فإنما معها مثل ما معها**» وهذا مما ينقص الشهوة ويضعف العشق، الثاني أن يداوم على الصلوات الخمس والدعاء والتضرع وقت السحر وتكون صلاته بحضور قلب وخشوع وليكثر من الدعاء بقوله: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك وطاعة رسولك**» فإنه متى أدمن الدعاء والتضرع لله صرف قلبه عن ذلك كما قال تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٤]. اهـ

٣- عدم الجلوس في الطرقات:

فقد نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس في الطرقات فقال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» قالوا يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد. نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**» قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: «**غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»(١).

قال الإمام النووي: هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يتجنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث...).

وقد نظم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أبياتا في آداب الجلوس على الطريق فقال:

جمعت آداب من رام الجلوس على الطـ	**ـريق من قول خير الخلق إنسانا**
أفش السلام وأحسن في الكلام وشمـ	**ـمت عاطسا وسلاما زاد إحسانا**
في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث	**لهفان وارشد سبيلا واهد حيرانا**
بالعرف مر وانه عن نكر وكف أذى	**وغض طرفا وأكثر ذكر مولانا**

٤- مجاهدة النفس:

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال طاووس في أمر النساء وقلة صبره عنهن كما تقدم، فميل النفس إلى النساء عام في طبع جميع بني آدم، وقد يبتلى كثير منهم بالميل إلى الذكران كما هو المذكور عنهم، فيبتلى بالميل إلى المردان وإن لم يفعل الفاحشة الكبرى ابتلي بما هو دون ذلك من المباشرة والمشاهدة، ولا يكاد أن يسلم أحدهم من الفاحشة إما في سره وإما بينه وبين الأمرد، ويحصل للنفس من ذلك ما هو معروف عند الناس، وقد ذكر الناس من أخبار العشاق ما يطول وصفه، فإذا ابتلى المسلم ببعض ذلك كان عليه أن يجاهد نفسه في الله وهو مأمور بهذا الجهاد ليس أمرا أوجبه وحرمه هو على نفسه فيكون في طاعة نفسه وهواه بل هو أمر حرمه الله ورسوله ولا حيلة فيه فيصير بالمجاهدة في طاعة الله ورسوله»(٢).

٥- الزواج أو الصوم لمن لم يستطع الزواج:

لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم**

(١) رواه البخاري [٦٢٢٩ و ٢٤٦٥]، ومسلم [٢١٢١].

(٢) مجموع الفتاوي ١٤/ ٤٦١.

﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. ولحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال كنا مع النبي ﷺ فقال: «**من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[١]، قال الحافظ في الفتح: وفيه الحض على غض البصر وتحصين الفرج بكل ممكن...).

٦- المحافظة على الصلاة:

لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٧- مجالسة الصالحين:

قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

٨- عدم غياب الزوج عن زوجته أكثر من اللازم:

قال تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٦]. وقال العباس بن هشام الكلبي ضرب عبد الملك بن مروان بعثا إلى اليمن فأقاموا سنين حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال والله لأعسن الليلة مدينة دمشق ولأسمعن الناس ماذا يقولون في البعث الذي أغزيت فيه رجالهم وأغرمتهم أموالهم، فبينما هو في بعض أزقتها إذ هو بصوت امرأة قائمة تصلي فتسمع إليها فلما انصرفت إلى مضجعها قالت اللهم مسير النجب ومنزل الكتب

---

(١) رواه البخاري [١٨٠٦]، ومسلم [١٤٠٠].

ومعطي الرغب أسألك أن ترد لي غائبي فتكشف به همي وتقر به عيني وأسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بنا هذا ثم أنشأت تقول:

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ... وأرقني حزن لقلبي موجع
فبت أقاسي الليل أرعى نجومه ... وبات فؤادي بالجوى يتقطع
إذا غاب منها كوكب في مغيبه ... لمحت بعيني كوكبا حين يطلع
إذا ما تذكرت الذي كان بيننا ... وجدت فؤادي حسرة يتصدع
وكل حبيب ذاكر لحبيبه ... يرجي لقاه كل يوم ويطمع
فذا العرش فرج ما ترى من صبابتي ... فأنت الذي يدعو العباد فيسمع
دعوتك في السراء والضر دعوة ... على حاجة بين الشراسيف تلذع

فقال عبد الملك لحاجبه تعرف هذا المنزل، قال نعم: هذا منزل يزيد بن سنان، قال: فما المرأة منه قال زوجته، فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها قالوا ستة أشهر[١] فأمر ألا يمكث العسكر أكثر من ستة أشهر). اهـ

٩- لا تسافر المرأة بغير محرم:

حتى لا يطمع الرجال فيها: قال ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم**»[٢].

١٠- عدم خضوع المرأة بالقول في محادثتها الرجال عند الضرورة:

قال تعالى: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

١١- السؤال من وراء حجاب:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) اعتلال القلوب للخرائطي (ج٢/ص ١٤٢). (٢) رواه البخاري [١٠٨٨]، ومسلم [١٣٣٦] واللفظ له.

١٢- لا تصف المرأة امرأة أجنبية لزوجها:

لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال ﷺ : «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**»[١]. فمن باب سد الذريعة نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تصف امرأة أخرى لزوجها لأن الوصف يقوم مقام النظر، وما حرم النظر إلا خشية الفتنة، هكذا حرص الإسلام على حماية عرض المسلم فحرم وصف النساء للرجال كما حرم النظر حتى لا تثار الشهوة وتوقظ الغريزة ويقع ما لا يحمد عقباه.

١٣- الدعـــــاء:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا، قال: «**نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»[٢].

١٤- شغل أوقات الفراغ بالعمل وذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦]. وقد قيل في هذا إذا كان العمل مجهدة فإن الفراغ مفسدة).

١٥- مراقبة الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩، ٢٢٠]، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩].

---

(١) رواه البخاري [٥٢٤٠].
(٢) رواه الترمذي [٢١٤٠]، وحسنه وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٨٠١].

١٦- التقـــوى:

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الأنفال: ٢٩] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ، يوماً فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...**»[١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [مجموع الفتاوى ١٥ / ١٣١]: (فلا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور كما فعل يوسف عليه السلام اتقى الله بالعفة عن الفاحشة وصبر على أذاهم له بالمراودة والحبس واستعان الله ودعاه حتى يثبته على العفة فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن وصبر على الحبس) اهـ وقال ابن رجب: (وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه)[٢] اهـ المراد.

١٧- العفـــة:

قال تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٠].
قال ابن القيم: (فإن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس ثم تعقبها اللذة وأما قضاء الوطر فبالضد من ذلك)[٣].

ويروى أن الشافعي قال:

عفّوا تعفُّ نسَاؤُكُمْ فِي المَحْرَمِ ... وتجنبوا مالا يليقُ بمسلمِ
إنَّ الزنا دينٌ فإن أفرضتهُ ... كَانَ الوفا منْ أهلِ بَيْتك فاعْلَمِ

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) جامع العلوم والحكم، ج١ / ص ١٥٨.
(٣) روضة المحبين، ص ٣٦٧.

يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا	**سبل المودة عشت غير مكرم**
لو كنت حرا من سلالة ماجد	**ما كنت هتاكا لحرمة مسلم**
من يزن يزن به ولو في جداره	**إن كنت يا هذا لبيبا فافهم**

١٨- الخوف من الفتنة:

قال رسول الله ﷺ : «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»[رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه] .

١٩- الاستقامة:

قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾ [هود: ١١٢]، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣٢]، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأحقاف:١٣، ١٤]. وعن أبي عمرو، وقيل: أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «**قل: آمنت بالله: ثم استقم**»[رواه مسلم] .

٢٠- الابتعاد عن أماكن الشبه:

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام :٦٨]. وقال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [يوسف ٢٨]. قال العلامة السعدي: (ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه ليتمكن من التخلص من المعصية لأن يوسف عليه السلام

لما راودته التي هو في بيتها فر هاربا يطلب الباب ليتخلص من شرها) [تفسير السعدي ج/١ص٤٠٩] ولما استفتى الرجل الذي قتل تسعة وتسعين هل له توبة قيل له: (ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء) [رواه مسلم ٢٧٦٦] .

٢١- الصبر:

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥] . وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة :١٥٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٠]

٢٢- الاستئذان عند دخول البيوت:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧-٢٨] .

٢٣- الإخلاص:

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١١-١٥] .

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: (إن من دخل الإيمان قلبه وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وصدق إخلاصه من أنواع

السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله ﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤] على قراءة من قرأها بكسر اللام ومن قرأها بالفتح فإنه من إخلاص الله إياه وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه فلما أخلص عمله لله خلصه الله وخلصه من السوء والفحشاء) اهـ المراد .

وقال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

٢٤- التوكل على الله:

قال تعالى :﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق :٣] . وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [الأنفال : ٢] .

٢٥- قرار النساء في بيوتهن:

قال تعالى :﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

٢٦- التفكر في دار النعيم:

فأعقل الناس من أثر لذة نفسه وراحته في الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة، وأسفه الخلق من باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء، قال بعض العلماء فكرت في سعي العقلاء فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة، وهذا باللهو

واللعب، فقلت هذا المطلوب مطلوب العقلاء، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه بل لعل أكثرها إنما يوصل الى ضده ولم أر في جميع هذه الطرق طريقا موصلا اليه بل لعل أكثرها إنما يؤثر الى الإقبال على الله وحده ومعاملته وحده وإيثار مرضاته على كل شيء، فإن سالك هذا الطريق إن فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالى الذى لا فوت معه، وإن حصل للعبد حصل له كل شيء، وإن فاته فاته كل شيء، وإن ظفر بحظه من الدنيا ناله على أهني الوجوه، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق، ولا أوصل منه الى لذته وبهجته وسعادته(١).

قبل الختام

إن دين الإسلام قد أصلح الله به حياة الناس في الدنيا والآخرة، وزين به المرء ظاهره وباطنه، وخلص به المسلم من الرذيلة، فمن ترك التمسك بهذا الدين فقد هذا كله وذهبت عنه الأخلاق والأوصاف العالية النبيلة، وحلت محلها الأوهام والآراء الفاسدة وكل أخلاق ذميمة، فسعادتنا وكرامتنا مرتبطة بطاعة ربنا سبحانه وتعالى في كل وقت وحين.

قال العباس بن الأحنف:

ويح المحبين ما أشقى نفوسهم ... إن كان مثل الذي بي بالمحبينا
يشقون في هذه الدنيا بعشقهم ... لا يرزقون به دنيا ولا دينا

وقبل الختام أنصح الشباب والشابات أن يتعظوا بهذه القصص، وأن يبتعدوا عن كل ما يغضب الله عز وجل، وأن يقبضوا على دين الإسلام فهو حماية وأمان من كل خطر، وليس في لذة دقائق من النظر المحرم أو الزنا سوى آلم القلب وغضب الرب وضياع الحياة الجميلة ونكد العيش.

وبهذه المناسبة أذكر للقارئ الكريم هذه الفائدة المهمة والعظيمة وهي قول أبي محمد عبد الحق عن سوء الخاتمة ما نصه:

---
(١) الجواب الكافي.

اعلم أن سوء الخاتمة – أعاذنا الله منها – لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل أو إصرار على الكبائر أو إقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيعطله الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ غير طريقه فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته)[١] اهـ المراد.

ومما أنصح به الشابات مع الاستقامة على الدين أن تكون البنت والمرأة قويتي الإرادة، فكم من فتاة ضيعت حياتها وسعادتها ومستقبلها بسبب ضعفها عند ارتكابها غلطة فاستغلت الغلطة من قبل فاسق شرير بتهديدها وتوعدها بفضحها حتى تضعف وتستجيب لمطالبه ظنا منها أنها بهذا التنازل ستستر نفسها، ثم بعد ذلك تتطور المطالب من قبل أهل الإجرام حتى تصبح لعبة يسيرها الفساق كيف شاءوا وفي القصص التي ذكرت في هذا الكتاب عبر للمعتبرين. نسأل الله السلامة والعافية لجميع المسلمين.

---

(١) التذكرة، ص ٣٦-٣٧ .

خاتمـــة الكتـــاب

الحمد لله على نعمه المتتالية، وأشكره على توفيقه إياي لخدمة دينه، ومنها تذكير طلاب وطالبات المدارس والجامعات خصوصا والشباب والشابات عموما بما حصل لبعض العشاق من مآسي وكوارث، حتى صاروا أضحوكة الدهر، وربما مات الكثير منهم على غفلة أو كفر فخسر بذلك الدنيا والآخرة.

قال ابن الجوزي – رحمه الله – في كتابه ذم الهوى: «واعلم أن الهوى يسري بصاحبه في فنون ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون .اهـ

ولو فكر هؤلاء في حياة الكلاب لوجدوها أحسن حالا منهم في الدنيا والآخرة، لأن الله كرم ابن آدم بالعقل فاستعمله في غير ما خلق له وكرم المسلم بالدين فتركه، فعباد الشهوات الذين لم يهتموا بحفظ دينهم ولا أعراض إخوانهم الكلاب إذا أفضل من هذا الصنف فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رأى رسول الله ﷺ رجلا قتيلا فقال ما شأن هذا الرجل قتيلا فقالوا يا رسول الله وثب على غنم أبي زهرة فأخذ شاه فوثب عليه كلب الماشية فقتله فقال ﷺ قتل نفسه وأضاع دينه وعصى ربه عز وجل وخان أخاه وكان الكلب خيرا من هذا الغادر، ثم قال ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يحفظ أخاه المسلم في نفسه وأهله كحفظ هذا الكلب ماشية أربابه**»[(١)].

وقد عرفت أخي القارئ الكريم مما سبق أحوال العشاق وهيامهم وبكاءهم وضعتهم وخياناتهم. فجهنم أشد لو كانوا يعلمون. ولم أقصد حشد القصص ليتلذذ القارئ بها ولكني قصدت حصول الفائدة دون تطويل أو ملل.

وقد رأيت أن أبين للشباب حياة من انقادوا لأهوائهم وشهواتهم ونهاية من وفقوا للتوبة من العشاق ليعتبر وينتبهوا ويحذروا من الذئاب البشرية التي لا تعدوا غالبا إلا

(١) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، ص ١٢.

على السذج من الناس الذين يحسنون الظنون بالجميع ويجهلون الأسباب المنجية من الشرور والعقوبة والتمييع. فقد سهل اصطياد هؤلاء البلداء من قبل شياطين الإنس والجن وإيقاعهم في أوبئة الرذيلة فالحذر الحذر من اتباع السبل المضلة.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام:١٥٣]. قال ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى: (ويا أيها الأخ النصوح أحضر لي قلبك عند هذه الكلمات وقل لي بالله عليك أين لذة آدم التي قضاها من همة يوسف التي ما أمضاها من كان يكون يوسف لو نال تلك اللذة فلما تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة صار من قد عرفت) اهـ

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: (فلو أنهم بادروا في مبدأ الأمر إلى مخالفة الأسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم ولما استعصى عليهم ولقدروا عليه، ونظير ذلك المبادرة إلى إزالة العلة قبل استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوما لا ينفك منها، فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها، ونظير ذلك المتوحل في حمأة، فإنه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره انقاذه، فمبادئ الأمور مقدورة للعبد فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدور له، فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه من أنفع الأشياء في باب القدر، والله الموفق للصواب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالقه فيهم بأسباب منهم، وتلك الأسباب قد تكون أمورا عدمية يكفي فيها عدم مشيئة أضدادها، فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الأصلي، وإن أراد من عبده الهداية فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه إعانته وتوفيقه فإذا لم يرد سبحانه من نفسه ذلك لم تحصل الهداية) اهـ





فهرس المحتويات





فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة



الدرر البهية في شرح الأربعين النووية

شرح الإمام
محيي الدين بن شرف النووي
شرح فضيلة الشيخ
محمد بن صالح بن عثيمين

شرح الإمام
ابن دقيق العيد
اعتنى به وراجعه وعلق عليه
أبو الحسن أشرف بن محمد نمير





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

نداءات

رب العالمين لعباد الله المؤمنين

فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩


العصر للطباعة
هاتف: ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ١٩٠٠٠٣٨ ٠١٠